القول الصحيح
في تعيين الذبيح

تأليف

محمد سعيد العاني

قدم لـه

الدكتور عبدالكريم زيدان

مطبعة العاني - بغـداد



تأليف

محمد سعيد العاني

قدم لـه

الدكتور عبدالكريم زيدان

مطبعة العاني ــ بغــداد

الطبعـة الاولى

١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه اجمعـين وبعـد :

١ ـ فان الله تعالى انزل كتابه العظيم على نبينا محمـد صلى الله عليـه وسلم لنستنير به في دروب الحياة ونقيم على معانيه شؤون حياتنا ورابطتنا بربنا ونعبده سبحانه وتعالى بالكيفيات التي شرعها لنـا في القرآن العظيم ، وهذا كله يستلزم بالضرورة تدبر آياتـه وتفهم معانيه ومعرفة احكامه ، ولا يتأتى هـذا كله الا بالتفسير الصحيح لآياتـه .

٢ ـ وان أحسن طرق التفسير واصحها ، كما يقول الامام ابن كثير ، أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمله القرآن الكريم في موضع قـد يفسره في موضع آخر . فان لم تجد مثل هذا التفسير تحولنـا الى السنّة النبوية المطهرة لانها شارحة للقرآن وموضحة لـه ومبينة لمعانيه ، قال الله تعالى « وانزلنا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نـزّل اليهم ولعلهم يتفكرون .. » . قال نبينا محمد صلى الله عليـه وسـلم « ألا اني اوتيت القرآن ومثله » يعني السنّة .

٣ ـ فاذا لم نجـد التفسـير في القرآن ولا في السنّة رجعنا الى اقوال الصحابة لانهم ، رضي الله عنهم ، أدرى من غيرهم بمعاني القـرآن وتفسيره لما شاهدوه من الظروف والاحوال التي نزل القرآن بسببها او لمعالجتها ، ولما اكتسبوه من صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم من معرفة بمرامي الشريعة ومراد الآيات القرآنية ، ولما لهم من جودة الذهن وحسن الادراك وصفاء النفس وعمق الايمان وكل ذلك يساعدهم

قطعاً على معرفة الصواب من مدلول الآيات والمراد منها ، ومن ثم كان لتفسير الصحابة المنقول عنهم قيمة عظيمة لاسيما المنقول عن الخلفاء الراشدين والمشهورين في الفقه والعلم مثل عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .

٤ ـ فاذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة فقد رجح كثير من الأئمة الرجوع الى اقوال التابعين المشهود لهم بالعلم والدراية والفهم كالامام مجاهد الذي تلقى تفسير القرآن من عبدالله بن عباس حتى صار آية في التفسير ومرجعاً فيه ولهذا قال الامام سفيان الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به . ومن التابعين المشهورين في التفسير سعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء ابن ابي رباح والحسن البصري وغيرهم كثيرون.

٥ ـ ومع وضوح وسلامة النهج الذي قدمناه في تفسير القرآن ، الا اننا نشاهد في ثنايا تفاسير القرآن بعض الاحاديث والاقوال التي تعرف بالاسرائيليات وهي التي تلقاها بعض المفسرين عن أهل الكتاب لاسيما اليهود ، حتى ليعجب البعض عجباً شديداً من هذا الصنيع، وربما ركب بعضهم الغضب الى درجة انهم أثاروا الشكوك حول نوايا اولئك المفسرين ، الذين حشروا في تفسيرهم الكثير من الاسرائيليات .

٦ ـ والواقع ان بعض المفسرين أكثروا من ذكر الاسرائيليات وحكاية اقوال اهل الكتاب وهم يفسرون كتاب الله ، وما كانوا في حاجة الى ذلك ، ألا انه لا خطر في صنيعهم لأن اهل العلم نبهوا على مواضع الخطأ فيما ذكره هؤلاء المفسرون من اقوال اهل الكتاب ، كما ان غالب هذه الاسرائيليات التي أولع بعض المفسرين في الاكثار من

ايرادها في تفاسيرهم كانت تتعلق ببعض جوانب القصص القرآني الذي أجمله القرآن مثل اسماء اصحاب الكهف وأحوالهم قبل لجوءهم الى الكهف ، ومكان الكهف ولون كلبهم ، ومثل عصا موسى من أي الشجر كانت ، واسماء الطيور التي أحياها الله تعالى لابراهيم عليه السلام ، ومثل مقدار طول او سعة سفينة نوح عليه السلام ونوع خشبها ، واسم الغلام الذي قتله الخضر ، و « البعض » الذي ضرب به موسى عليه السلام من البقرة الى غير ذلك مما أبهمه القرآن الكريم مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا في دينهم ٠

٧ ـ ولكن نسأل هنا عن مدى جواز او عدم جواز ذكر الاسرائيليات في تفسير القرآن ؟٠٠ والجواب يحتاج الى شيء من التفصيل ، ذلك ان حكاية اقوال اهل الكتاب في بعض ما تناوله القرآن الكريم وتكلم عنه صار مباحاً بشروط بعد أن كان ممنوعاً في اول الامر فقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » ومعنى الحديث المتعلق بالتحديث عن بني اسرائيل ، انه لا ضيق عليكم في الحديث عن بني اسرائيل لانه كان قد تقدم عنه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ، وكان هذا النهي قبل استقرار الاحكام الاسلامية والقواعد الدينية ثم جاءت الرخصة والاباحة في الرواية عنهم وحكاية اقوالهم لما في سماع الاخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار ٠ اما نطاق هذه الرخصة في حكاية اقوال اهل الكتاب فقد قال الامام مالك يجوز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن ، أما ما علم كذبه فلا يجوز نقله عنهم ٠ وقال الامام الشافعي : من المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم

لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى ، اذن ، حدثوا عن بني اسرائيل بما لا تعلمون كذبه(١) ·

وقال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى ان الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد وانها ثلاثة اقسام :

(القسم الاول) ما علمنا صحته مما بايدينا من الكتاب والسنّة مما يشهد له بالصدق ، فذلك صحيح ·

(القسم الثاني) ما علمنا كذبه بدلالة الكتاب والسنّة ، فذلك كذب غير صحيح ·

(القسم الثالث) ما هو مسكوت عنه ليس هو من احد القسمين السابقين فهذا القسم لا نصدقه ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم من الحديث الشريف ، ولقوله صلى الله عليه وسلم [لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، فاما ان يحدثوكم بحق فتكذبوه واما ان يحدثوكم بباطل فتصدقوه » أي اذا كان ما يحدثونكم به محتملاً للصدق والكذب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم(٢) · ولكن يجب أن يعلم بان النهي لم يرد عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ودلّ على كذب المنقول عنهم ، كما لم يرد النهي عن تصديق ما ورد شرعنا بصدق المنقول عنهم(٣) ·

٨ ـ ويخلص لنا من كل ما تقدم ان النقل عن اهل الكتاب امر جائز ان علمنا صدقه بموجب شرعنا ، او لم نعلم صدقه ولا كذبه على ان لا نصدقه ولا نكذبه ·

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٦ ص٤٩٦ ـ ٤٩٨ ·

(٢) مقدمة في اصول التفسير لشيخ الاسلام ابن تيمية ص٢٠ ·

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٨ ص١٧٠ ·

٩ - ومن جملة ما ذكره بعض المفسرين من الاسرائيليات في قصة ذبح سيدنا ابراهيم عليه السلام لابنه ، انهم قالوا ان الذبيح هو اسحاق لا اسماعيل ، وهذا على بعض الاخبار الواردة عنهم والتي ذكرها كثير من المفسرين المسلمين وهم يتكلمون عن قصة ذبح ابراهيم لابنه ، الا ان هناك ايضاً بعض الاخبار عن اهل الكتاب تصرح او تشير او تتضمن ان الذبيح هو اسماعيل ، ومن أجل هذا الخلاف في الاخبار عن أهل الكتاب اختلف كثير من المفسرين ، فمنهم من ذهب الى ان الذبيح هو اسحاق ومنهم من ذهب الى ان الذبيح هو اسماعيل ومنهم من توقف ، الا ان بعض المفسرين المحققين كالامام ابن كثير وغيره جزموا على ان الصحيح في المسألة ان الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وذكروا من الادلة والاحاديث النبوية الشريفة ما يظهر معه صحة ما ذهبوا اليه · وقد كان ينبغي ان يذهب الى هذا الرأي أو الى هذا القول جميع المفسرين لظهور الصواب في هذه المسألة · الا ان عذر من توقف عن ترجيح احد القولين في مسألة من هو الذبيح اسماعيل او اسحاق ، هو وجود احتمال لجانب كل قول من القولين ومع الاحتمال لا يكون الترجيح في نظرهم ·

اما عذر من رجح بان الذبيح هو اسحاق فهو ان القرآن لم ينص صراحة وبوجه قاطع على ان الذبيح هو اسماعيل ، وحيث ان اهل الكتاب يزعمون بان الذبيح هو اسحاق وزعمهم هذا يحتمل الصدق والكذب ، فترجيح جانب صدقهم - حسب نظرهم - مع عدم صراحة القرآن القطعية بان الذبيح هو اسماعيل ، اقول فترجيح ما ذهب اليه اهل الكتاب - في نظر هذا البعض من المفسرين - هو الأولى ·

١٠ـ ولكن ، في الواقع ، ان ما اعتذرنا به للمتوقفين عن الترجيح وللمرجحين بان الذبيح هو اسحاق ، اقول ما اعتذرنا به لهم لا يصلح حجة ولا عذراً كافياً لموقفهم ، ذلك ان القرآن بمجموع آياته الواردة في هذه القصة وتسلسلها ودلالتها كل ذلك ينهض حجة كافية للقول بان الذبيح هو اسماعيل ويؤيد ذلك الاحاديث النبوية وبعض اخبار أهل الكتاب فهذا القدر من الادلة يكفى للقول بان الذبيح هو اسماعيل • اما وجود احتمال ضعيف على خلاف هذا القول الظاهر الرجحان فينبغي ان لا يلتفت اليه لانه بحكم المعدوم لضعفه الشديد •

١١ـ وهذه الرسالة التي نقدم لها هذه المقدمة قد جمعت اقوال المفسرين في مسألة ذبح ابراهيم لابنه ، وما قيل عن اسم الذبيح ومكان الذبح والحجة لكل قول ، حتى يكاد المؤلف الاستاذ محمد سعيد العاني حفظه الله تعالى قد استوعب جميع اقوال المفسرين وما احتجوا به • وقد ناقشهم المؤلف مناقشة علمية رصينة وان غلبت عليه في بعض المناقشات الحدة والقسوة في القول غيرة منه على معاني الدين ، وان كانت هذه الغيرة لا تستلزم هذه الحدة والقسوة • وقد رجع المؤلف حفظه الله الى كتب اهل الكتاب وذكر ما فيها من نصوص تتعلق بالمسألة وناقشها وبين انها حجة للقائلين بان الذبيح هو اسماعيل وليست هي حجة للقائلين بان الذبيح هو اسحاق • ولا شك ان اخانا المؤلف قد بذل جهداً مشكوراً في تحرير هذه الرسالة برجوعه الى كتب المفسرين الكثيرة التي استطاع الوصول اليها كما رجع الى المراجع الاخرى وقد أظهر في نقوله ومناقشاته بان القول الصحيح في المسألة الذي لا ينبغي العدول عنه هو ان الذبيح اسماعيل وليس اسحاق •

والخلاصة فان هذه الرسالة اللطيفة وهذا البحث الجيد الذي قـام به الاستاذ محمد سعيد العاني يعتبر من النتاج الجيد النافع ان شاء الله تعالى • وقد اسهم في تجلية مسألة اضطربت فيها اقوال كثير من المفسرين ، واظهر القول الصواب الذي ذهب اليه بعض المحققين من المفســرين •••

فنسأل الله تعالى ان يثيب المؤلف وينفع برسالته من يقف عليها • والحمد لله رب العالمين •

الدكتور عبدالكريم زيدان
٢٩/ربيع الاول/١٤٠٢هـ
٢٤/١/١٩٨٢م

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين • والعاقبة للمتقين • والصـلاة والسـلام على خـاتم انبيائه ورسله وصفـوة خلقـه محمد الأمـين ، وعلى جميع النبين والمرسلين • وآل كل وصحب كل أجمعين •

أما بعد : فقد اختلف الرواة والمؤرخون والمفسرون في ايهما الذبيح من ولد ابراهيم (عليه السلام) الذي ورد ذكره في القرآن الـكريم أهو اسماعيل ؟ ام هو اسحاق ؟ ••• فمنهم من ذهب الى انه اسماعيل ـ وهم الاكثرون ـ ومنهم من قال بانه اسحاق • وآخرون اشتبه عليهم الأمر فتارة يقولون اسماعيل واخرى اسحاق !••• وهنـاك من بقـي متحـيراً ـ او متردداً ـ لا يدري ما يقول ؟! • ومما يؤاخذ عليه بعض المفسرين انهـم كانوا يتلقون الاخبار ـ اياً كان مصدرها ـ على علاّتهـا دون تمحيص او تحقيق • ومما لا شك فيه بأن القرآن الكريم هـو اصدق المصـادر وعليه المعوّل دون غيره من الأسفار والكتب، وأنه مصدّق لما جاء به موسى وعيسى من التوراة والانجيل ـ وانـه قصّ على بني اسرائيل اكثر الذي كـانوا فيه يختلفون • فآمنوا بما قصه عليهم ولـم ينكروه • فكان على المفسرين ـ عفا الله عنهم ـ والحالة هذه ان لا يغفلوا عما قصد اليه اليهود من ترويج اخبارهم بأن الذبيح اسحاق وليس اسماعيل لينسبوا بذلـك شـرف الفداء الذي اتسم بـه اسماعيل اليهم • ثم كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والعرب من ذريته • فأرادوا بتلك المغالطة وتشويش الروايات وتحـريف الاخبار ـ كما حرّفوا التوراة من قبل ـ انتزاع هذا الشرف والفخر من

العرب لينسبوه اليهم وحدهم كما نسبوا اليهم فضل الاختيار من قبل ـ أي انهم شعب الله المختار ـ « يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » التوبة .

ومن تتبع القرآن الكريم ، وتتبع آياته المحكمات ، وتتبع سيرة اسماعيل مع أبيه ابراهيم وسيرة ابراهيم مع ولده اسماعيل منذ زواجه بهاجر والذهاب بها الى أرض الحجاز وبناء البيت مع اسماعيل وقصة الرؤيا والذبح والفداء (عندما كان اسماعيل وحيد ابويه) يرى بأن الامر واضح وضوح الشمس في رابعة النهار لا يحتاج اظهاره الى كثير عناء ، وان الذبيح هو اسماعيل (عليه السلام) الذي كاد ينطق القرآن الكريم باسمه صراحة كما تكلمت التوراة بهذا منذ القديم .

وهل يصح في الأذهان شيء   اذا احتاج النهار الى دليل

ورغبة في اظهار الحقيقة عزمت الأمر على اخراج هذه الرسالة ليتبين « من هو الذبيح » لازالة الابهام الحاصل ـ لدى البعض ـ عن طريق الاستقراء الدقيق والتتبع الصحيح ، وتوكلت على الله القدير ان يعينني على أخراجها ، ويلهمني السداد والتوفيق في تصنيفها ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وقد جعلت هذه الرسالة في فصول على النحو الذي يراه القارىء والله اسأل ان يوفقني لخدمة دينه ويجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم .

المؤلف

الفصل الاول

« المراجع الاسرائيلية »

اذا علمنا بأن ابراهيم (عليه السلام) خليل الرحمن • وابو الانبياء • وابو الامم •• والاديان السماوية الثلاثة تجله وتقدسه وتضعه بالمكان اللائق به • وبما ان اسماعيل واسحاق هما ولدا ابراهيم (عليه السلام) فلنأت ببعض ما ورد في أخبارهم (عليهم السلام) من المراجع الاخرى غير المراجع الاسلامية احقاقاً للحق واتماماً للفائدة وأبدأ بالمراجع الاسرائيلية •

جاء في الاصحاح السادس عشر : ان ساراي[1] لما لم تلد دفعت جاريتها المصرية (هاجر) الى ابرام[2] وقالت له : هوذا الرب قد امسكني عن الولادة فادخل الى جاريتي لعلي أرزق منها بنين •

فلما رأت هاجر انها حبلت صغرت مولاتها في عينيها ، فقالت ساراي لابراهيم ظلمي عليك ، دفعت جاريتي الى حضنك فلما رأت انها حبلت صغرت في عينيها ، يقضي الرب بيني وبينك !

فقال ابراهم لساراي : هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك ، فأذلتها ساراي فهربت من وجهها •

فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين في طريق شور[1] وقال يا هاجر جارية ساراي من اين اتيت ؟ والى اين تذهبين ؟

---

(١) سارة زوجة ابراهيم

(٢) ابراهيم عليه السلام •

(١) كانت في الجنوب الغربي من فلسطين بين مصر وكنعان •

فقالت انا هاربة من وجه مولاتي ساراي • فقال لها ملاك الرب ارجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها • وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يحصى • وقال لها ملاك الرب : ها انت حبلى وتلدين ابناً وتدعينه اسماعيل • لان الرب قد سمع لضراعتك •

وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل •

ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة « الاصحاح السابع عشر » ظهر الرب لابرام وقال له :ـ انا الله القدير • سر أمامي وكن كاملاً • فاجعل عهدي بيني وبينك اكثرك كثيراً جداً • فخر ابرام ساجداً • وتكلم الله معه قائلاً : أما أنا فهوذا عهدي معك • وتكون أباً لجمهور من الأمم • فلا يدعى اسمك بعد اليوم ابرام • بل يكون اسمك ابراهيم • لاني اجعلك أباً لجمهور من الامم واثمرك كثيراً جداً واجعلك أمماً • ومنك ملوك يخرجون • واقيم عهدي بيني وبينك • وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً ابدياً لا اكون الهاً لك ولنسلك من بعدك • واعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون الههم • وقال الله لابراهيم : ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي • بل سمّها ساره • وأباركها واعطيك ايضاً منها ابناً • فخر ابراهيم ساجداً وضحك • وقال في قلبه هل يولد لابن مائة سنة ؟ وهل تلد ساره وهي بنت تسعين سنه ؟ •

وقال ابراهيم لله • ليت اسماعيل يعيش امامك • فقال الله • بل ساره امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحاق • وأقيم عهدي له عهداً ابدياً لنسله من بعد • واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه • ها انا اباركه واثمره واكثره كثيراً جداً • اثنى عشر رئيساً يلد واجعله امة كبيرة • ولكنّ عهدي اقيمه لاسحاق الذي تلده لك ساره في هذا الوقت من السنة الآتية • فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن ابراهيم • فأخذ ابراهيم

اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضة وختنهم • وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن ، واسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة •

ثم جاء في الاصحاح الحادي والعشرين : ان ساره ولدت اسحاق وختنه ابراهيم وهو ابن ثمانية ايام • وكان ابراهيم قد اوفى على المائة • وقالت ساره قد جعل الله لك ضحكاً وجعل كل من يسمع بأمري يضحك •

ورأت ابن هاجر المصرية يخرج فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحاق • فقبح الكلام جداً في عيني ابراهيم • قال الله لابراهيم : لا يقبح في عينيك من اجل الغلام ومن أجل جاريتك ، واسمع كل ما تقوله ساره لانه باسحاق يدعى لك نسل • وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لانه نسلك •

فبكر ابراهيم صباحاً واخذ خبزاً وقربة ماء واعطاهما لهاجر واضعاً اياهما على كتفها وصرفها • فمضت وتاهت في بريه بئر سبع • ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الاشجار ومضت وجلست مقابله بعيداً على مرمى القوس ، لانها قالت لا انظر موت الولد • فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر • لا تخافي • لان الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو • قومي احملي الغلام وشدي يدك به • لاني سأجعله أمة عظيمة • وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء • فذهبت وملأت القربه ماء وسقت الغلام • وكان الله مع الغلام فكبر • وكان في البرية وكان ينمو رامي قوس • وسكن في برية فاران[1] • وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر •

---

(١) بلاد الحجاز •

وتأتي بعد ذلك قصة الفداء :-

وان الله تعالى امتحن ابراهيم •

فقال لـه : خذ ابنك وحيدك[٢] الذي تحبه واذهب الى أرض المريا واصعده هناك •• فبكر ابراهيم صباحاً وشد على حماره واخذ اثنين من غلمانه معه • واسحاق ابنه • وشقق حطباً لمحرقه وقام وذهب الى الموضع الذي قال له الله •

فلما اتيا الى الموضع الذي قال له الله • بنى ابراهيم هناك المذبح ورتب الحطب • وربط اسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطـب • ثم مد ابراهيم يده واخذ السكين ليذبح ابنه • فناداه ملاك الرب من السماء وقال : ابراهيم ابراهيم • فقال ها انا ذا • فقال لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئاً لاني الآن علمت انك خائف الله • فلم تمسك ابنك وحيدك عني[٣] •

ورفع ابراهيم عينيه ونظر • واذا كبش وراء ممسكاً في الغابة بقرنيه• فذهب ابراهيم واخذ الكبش واصعده محرقة عوضاً عن ابنه •

ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء • وقال بذاتي اقسمت • اني من أجل انك فعلت هذا الأمر ولـم تمسك ابنك وحيدك[٤] أباركك مباركة واكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شـاطيء البحر • ويرث نسلك باب اعدائه ، ويتبارك في نسلك جميع أمم الارض• من أجـل انك سمعت لقولي • ثم رجع ابراهيم الى غلاميه فقاموا وذهبوا جميعاً الى بئر سبع ••

---

(٢) ولم يكن له وحيـداً يومذاك سـوى اسـماعيل • الاصحاح الثاني والعشرين •

(٣) الوحيد هو اسماعيل •

(٤) مكـرر •

« تعقيب على مـا ورد في المصادر الاسرائيلية »

١ ـ ان جملة « ابنك وحيدك » التي وردت في ثلاثة أماكن من قصة الفداء المشار اليها برقم ٢ ، ٣ ، ٤ كافية لدحض مزاعم اليهود ، وتثبت اثباتاً قطعياً بأن الذبيح هو اسماعيل وليس اسحاق .

لانه بوجود اسحاق صار لابراهيم ولدان . غير ان اليهـــود أشاعوا هذا مؤخراً في كتبهم وبين المسلمين ليكون لهم الفضل بذلك .

يؤيد هذا ما ورد في الاصحاح السادس عشر . بأن الولد البكر هو اسماعيل . وما جاء في الاصحاح السابع عشر ، وفي قصة الفداء من تكرار عبـارة « ابنك وحيدك » ثلاث مرات ، ووصـف الابن بالوحيد هو السند القاطع في تعيين الذبيح ، حيث لم يكن اسحاق وحيداً بوجود اسماعيل .

أما اسماعيل فكان وحيداً قبل مولد اسحاق . فتعين بهذيـن المصدرين اللذين هما من مصادر الكتب الدينية المقدسة لدى اليهود ، ان الذبيح هو البكر وهو الولد الوحيد لابراهيم ، ولم يكن البـكر والوحيد سوى اسماعيل ! .

٢ ـ ذكر في قصة هاجر انها تاهت في برية بئر سبع وهناك اقامت مـع اسماعيل . وقد ورد في آخر قصة الفداء لان ابراهيم وغلاميه قاموا وذهبوا جميعاً الى بئر سبع ، وهذا دليل آخر بأن قصة الفداء وقعت في المكان الذي يقيم به اسماعيل وليس اسحاق !

٣ ـ أما اسم اسحاق الذي ذكر اسمه مرتين في قصة الفداء ، فيبدو لاول وهلة انه اقحم اقحاماً في غير مكانه كما تنبيء عنه الكلمة القلقة .

ومن هذا يظهر بانها من وضع اليهود المتأخرين الذين عاصروا الاسلام ، وهذا الزعم الذي يزعمه اليهود يجعل اسحاق الذبيح لا يتفق مع كتبهم التي تقول بأن اسماعيل هو البكر وانه ولد وعمر ابراهيم ست وثمانون سنة وان اسحاق ولد بعد إن كان لابراهيم تسع وتسعون سنة من العمر ؟!

فالمصادر الاسرائيلية كلها تقول بأن اسحاق ولد بعد اسماعيل. وعندما أمر ابراهيم بذبح ابنه كان له واحد بدليل قول ملاك الرب لابراهيم (ابنك وحيدك) وتكرارها ثلاث مرات فبطل بهذا زعم اليهود من ان الذبيح اسحاق .

٤ ـ جاء في الاصحاح السابع عشر (وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن . واسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة .. وجاء في الاصحاح الحادي والعشرين (ان سارة ولدت اسحاق وختنه ابراهيم وهو ابن ثمانية ايام وكان ابراهيم قد اوفى على المائة فتبين من هذا بأن اسماعيل يكبر اسحاق نحو أربع عشرة سنة ، وهذا مما يجعل اسماعيل بكراً ووحيداً بعكس اسحاق الذي لم يكن بكراً ولا وحيداً لأبيه ؟! ..

٥ ـ ان ملاك الرب قال لهاجر . قومي احملي الغلام وشدي يدك به . لاني سأجعله أمة عظيمة . ثم نادى ملاك الرب ابراهيم من السماء ـ بعد حادثة الفداء ـ وقال . بذاتي أقسمت . اني من أجل انك فعلت هذا الامر ولم تمسك ابنك وحيدك . اباركك مباركة واكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطيء البحر ويرث نسلك باب اعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الارض من أجل انك سمعت لقولي ..

فأقول : وهذا ايضاً دليل خامس على الامة العظيمة • والنسل الذين هم كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطيء البحر هم غير اليهود الذين هم ولد اسحاق • لان عدد اليهود في جميع العالم لا يزيد على الـ ١٥ مليون نسمة •

أما المسلمون فعددهم يربو على الـ ٨٠٠ مليون نسمه واذا جعلنا اسماعيل أباً للعرب وحدهم وليس لكل المسلمين فعددهم يربو أيضاً على الـ ١٥٠ مليون نسمة بالاضافة الى العرب الذين سكنوا البلاد التي فتحوها واصبحوا من اهالي تلك البلاد • فتعين بهذا بأن الذبيح الذي سيجعله الله أمة عظيمة وان نسله سيكونون كنجوم السماء وكالرمل على شاطيء البحر هو اسماعيل وليس اسحاق ؟

٦ ـ جاء في الاصحاح السابع عشر ان ابراهيم اختتن وأهل بيته وكان عمره ابن تسع وتسعين سنة • واسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة •

وجاء في الاصحاح الحادي والعشرين ان ساره ولدت اسحاق وختنه ابراهيم وهو ابن ثمانية أيام وكان ابراهيم قد اوفى على المائة • فتعين بهذا بان اسماعيل هو اكبر من اسحاق بثلاث عشرة سنة • او تزيد وانه اختتن قبله وقد كان بكراً ووحيداً لابيه •

٧ ـ وجاء في التوراة ان ابراهيم قدم ولده البكر ليذبحه فافتداه الرب بالكبش •••

فتعين بهذه المصادر الاسرائيلية التي تدخل في سيرة الخليل من كتب العهد القديم واكثرها تفصيلاً ما ورد في سفر التكوين من الكتب الخمسة التي يطلق عليها في الغالب اسم التوراة • وهي من الكتب الدينة المقدسة لدى اليهود ، كون الذبيح هو البكر وهو الولد الوحيد لابراهيم اثناء حادثة الفداء ، ولم يكن البكر والوحيد سوى اسماعيل عليه السلام ، وفي هذا لآيات لقوم يعقلون •

الفصل الثاني

مصادر التاريخ القديم

« تاريخ يوسيفوس »(١)

يقول المؤرخ يوسيفوس :- واحضرت ساره بأمر الله الى فراشه - أي ابراهيم - احدى جواريها المصريات المسماة (هاجر) عسى ان يرزق منها ذرية • فلما حملت اجترأت على اهانة ساره واتخذت سمة الملكات كانما تصير حوزة ابراهيم كلها الى ابنها الذي لم يولد • فأسلمها ابراهيم الى ساره تؤدبها • ولم تصبر هاجر على مذلتها فهربت ودعت الى الله ان يتولاها برحمته • وبينما هي في البرية ظهر لها ملك من عند الله وأمرها ان تعود الى سيدها وسيدتها ووعدها ان ترضى عن عيشها اذا هي غضت من كبريائها لانها لقيت ما لقيته من جراء الاستطالة على مولاتها • وانها اذا عصت أمر ربها هلكت • ولكنها اذا عادت الى البيت صارت أماً لولد يملك تلك الارض • فأطاعت وعادت الى سيدها وسيدتها فسامحاها ووضعت بعد قليل ولداً سمته اسماعيل • أي المسموع من الله لأن الله استمع لصلاتها •

وكان ابراهيم قد بلغ السادسة والثمانين حين ولد له هذا الولد • وبلغ التاسعة والتسعين حين تراءى له الرب وبشره بولد يرزقه من ساره • آمراً له ان يسميه اسحاق وموحياً اليه ان أمما عظيمة وملوكاً سيخرجون

---

(١) نقل هذا الفصل عن كتاب « ابو الانبياء » للاستاذ عباس محمود العقاد بتلخيص وتصرف •

من نسله يستولون بالحرب على أرض كنعان من صيدا الى مصر •
وعليهم ان يختتنوا لكيلا يختلطوا بالامم الاخرى • وان يكون الختان في
اليوم الثامن بعد الولادة •

وسأل ابراهيم عن اسماعيل هل يعيش ؟ فأنبأه الله انه سيعيش ويعمر
ويصبح أباً لامم عظيمة • فشكر ابراهيم لربه هذه النعم • واختتن
هو وآل بيته جميعاً واسماعيل الذي كان يومئذ في الثالثة عشرة وكان
ابوه في التاسعة والتسعين •

ثم روى يوسيفوس مولد اسحاق وختانه في اليوم الثامن • وان
العرب يؤجلون الختان الى السنة الثالثة عشرة كما اختتن ابوهم
اسماعيل ••• وان ساره عادت فأصرت على اقصاء هاجر وابنها فخرجت
الى البرية وكاد الغلام ان يموت عطشاً تحت شجرة من اشجار التنوب
لولا ان هدى الملك من الرب هاجر هذه الى ينبوع ماء قريب ••• الخ ••

« تعقيب على التاريخ »

ان مـا يقصه التاريخ القـديم أو المؤرخ يوسيفوس لا يختلف كثيراً عما جاء في كتب اليهود الدينية الا في بعض التعابير والالفاظ • أما من حيث المعنى ورواية قصة هاجر وسارة وولادة اسماعيل ثم اسحاق فهي كمـا جاءت في الأسفار اليهودية ، حيث تقول بمولد اسماعيل قبل اسحاق وأنه كان بكراً ووحيداً لأبيه • واسحاق ليس كذلك • وهذه البديهيات تشهد وتعلن بأن الذبيح اسماعيل • ولكن اليهود يتعامون عن الحقيقة ويتشبثون بأوهام لا تمت الى الحقيقة بصلة لغاية في أنفسهم •

الفصل الثالث

« المصدر المتأتي من السكوت »(٢)

وهناك مصدر آخر ـ غير المصادر الدينية والتاريخية ـ يستمد قوته من السكوت ولا يستمدها من البيان والايضاح ٠

ولا يخفى أن السكوت المتعمد يدل على كثير ، وربما كان في ميزان الصدق أدل من الكلام الذي يتعرض للتورية والمحال ٠

فاذا علمنا من بعض التواريخ أنها تسكت عمداً عن بعض الامور فقد علمنا شيئاً صحيحاً يبين تلك الامور المسكوت عنها ، وبخاصة حين نعلم سبب السكوت ٠

لقد سكتت مصادر اليهود عن حالة العرب الدينية كل السكوت ، وترجع هذه المصادر الى القرن السابع قبل الميلاد ٠

وقد تعمدت هذه المصادر أن تخرج أبناء اسماعيل من حقوق الوعد الذي تلقاه ابراهيم من الله ٠ وقالت ان هذا الوعد انما هو حق لأبناء ابراهيم من سلالة اسحاق ٠

ان انتساب العرب اذن الى اسماعيل قد كان تاريخاً مقرراً لا سبيل الى انكاره عند كتابة المصادر اليهودية التي حصرت النعمة الموعودة في أبناء اسحاق ٠ ولو لم يكن انتساب العرب الى اسماعيل بن ابراهيم تاريخاً مقرراً في ذلك العصر ــ عصر كتابة المصادر اليهودية الاولى ــ لما كانت بهم حاجة الى

---

(٢) من كتاب « ابو الأنبياء » للاستاذ عباس محمود العقاد بتلخيص وتصرف ٠

التمييز بين أبناء اسحاق وأبناء اسماعيل • اذ كان يكفي أن يقال النعمة الموعودة من نصيب أبناء ابراهيم عامة ليخرج من هذا الوعد من لم يكن من اليهود الذين لا ينازعهم أحد في الانتساب الى ابراهيم •

لكن انتساب العرب الى ابراهيم كان تاريخاً مقرراً كما هو واضح مما تقدم • فلم يكن في الوسع انكاره • ولم يكن ثمة مناص من التفرقة بين أبناء ابراهيم من سلالة اسماعيل وأبناء ابراهيم من سلالة اسحاق • وأكثر من ذلك أن كهان اليهود كانوا يحسون من العرب منافسة دينية فضلا عن المنافسة الدنيوية • فلو لم يكن للعرب حياة دينية يخشى الكهان منافستها لكان يكفيهم أن يحصروا وعد ابراهيم في أبنائه المؤمنين دون أبنائه الوثنيين الذين لا يعرفون الله الواحد الأحد • فيخرج العرب بهذا الاستثناء من وراثة ابراهيم الروحية • ولا تدعو الحاجة الى أكثر من ذلك الاستثناء • ولا شيء غير خطر المنافسة في النسب ، وخطر المنافسة في العقيدة الدينية يُلجيء الكهان الى حصر النعمة الموعودة في أبناء اسحاق دون أبناء ابراهيم •

وقد لوحظ أن الكهان يحصرون النسب شيئاً فشيئاً كلما أحسوا خطر المنافسة على سلطانهم وسلطان هيكلهم على الخصوص • فخصصوا أبناء يعقوب بعد أن كان الوعد عاماً شاملا لأبناء اسحاق أجمعين • وقالوا أن الاسرائيليين هم أبناء يعقوب دون غيره ، واسرائيل هو لقب يعقوب •

ثم انقسمت دولة اليهود الى دولة في الشمال تسمى مملكة اسرائيل ودولة في الجنوب تسمى مملكة يهودا • فقال كهان الهيكل ان النعمة محصورة في أبناء داود •

وقبل ذلك بزمن طويل كان (اللاويون) يحصرون الرياسة الدينية فيهم دون غيرهم لأنهم يقولون أن اللاويين قبيلة موسى الكليم •

فاستثناء أبناء اسماعيل لم يحصل عبثاً منذ القرن السابع قبل الميلاد على الاقل • ولا بد من منافسة دينية ودنيوية دعت الى هذا الاستثناء والى السكوت عن الحالة الدينية التي تخشى المنافسة ويشعر بها الكهان[1] •

ومهما يكن من أمر هذا التاريخ المسكوت عنه فوجود النسبة الى اسماعيل قديم لم تكن فيه حيلة لليهود ولا للعرب ••• فلو أراد العرب أن يخترعوا لما اخترعوا نسبة ينتمون بها الى جارية وتخص غيرهم بالانتماء الى السيدة المختارة !

ولو كان في وسع اليهود أن يحتكروا النسب الى ابراهيم لما ذكروا شيئاً عن نسبة غيرهم اليه • فالانتساب الى ابراهيم لم يكن مسألة اختراع واختيار • ولكنه كان مسألة تاريخ مقرر لا بد من البحث فيه على هذا الأساس ••• ومن هنا قيمته التاريخية التي تضاف الى الاسانيد القوية في سيرة الخليل •

---

(١) قال تعالى في سورة مريم : « واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً » ٥٤ و ٥٥ •

وجاء في تاريخ ابن الفداء : « وأرسل الله اسماعيل الى قبائل اليمن ، والى العماليق ، وزوج اسماعيل ابنته من ابن أخيه العيص ابن اسحاق • وعاش اسماعيل مائة وسبعاً وثلاثين سنة • ومات بمكة ودفن عند قبر أمه هاجر بالحجر • وكان وفاة اسماعيل بعد وفاة أبيه ابراهيم بثمان وأربعين سنة » •

فالقرآن الكريم والتاريخ يؤيدان أن اسماعيل كان رسولاً الى قومه وهذه المنافسة الدينية هي التي دعت كتّاب المصادر اليهود الى السكوت عن أبناء اسماعيل •

وصفوة القول في هذا الصدد أن المراجع الاسرائلية قد سكتت عن بعض الامور ولم تستوعب أموراً أخرى في سجلاتها المحفوظة • فليس من الجائز أن يعترض المترضون على أمر من الامور التاريخية لأنه غير مذكور في تلك المراجع ••• واذا جاز أن يذهب بعض السلات من تاريخ سليمان وأبنائه فمن الجائز أن تذهب سجلات أقدم منها في التاريخ ، كالسجلات التي حفظت من عهد ابراهيم ، وهي أقدم منها بعدة قرون •

والمصادر الاسرائيلية لم تتعمد اغفال ذكر أبناء اسماعيل فحسب ، ولكنها سكتت عن كثير من الحوادث والوقائع التاريخية والدينية •

انها سكتت عن كثير من حوادث سليمان وأبنائه ولم تذكر الكتب اليهودية شيئاً عن ذهاب ابراهيم الى الحجاز مع أنه ذهب اليه عدة مرات عند نقل هاجر واسماعيل وعند بناء البيت ورحلات أخرى أثبتها القرآن والسنة والتاريخ ولم تذكر صالحاً ولا هوداً ولا ذا الكفل ولا غيرهم من الانبياء • ولم تذكر كتب اليهود أخبار البلاد المجاورة لها كأخبار عاد وثمود اللذين ورد ذكرهما في القرآن الكريم مع ما جاء عنهما في المأثورات العربية ، ولولا أن اسم عاد واسم ثمود قد وردا في جغرافية بطليموس لكان من اليسير على الذين يحملون اسم الخرافة على أطراف ألسنتهم أن يزعموا أنها احدى الخرافات • ولكن جغرافية بطليموس ذكرت موقعها غير بعيدة من مملكة اسرائيل • فاذا كان بطليموس قد سمع بهما فلا يعقل أن يكون أمرهما مجهولا عند كتّاب العهد القديم وهي مجاورة لهم • وانما المعقول أن السكوت من كل رسالة في أبناء اسماعيل هو المقصود •

فموضع التساؤل هو السكوت عن هذه الناحية • وليس هو الذكر الذي توحيه البداهة • ويوحيه الواقع • ويوحيه المعلوم • من أطوار البعثات الدينية والرسالات النبوية •

وكيف لا يكون السكوت موضع تساؤل وهو في الحقيقة غني عن التساؤل • لأنه معلوم السبب والغاية وحسبنا من التساؤل أن ينتهي بنا الى سبب معلوم أو غاية مرسومة •

وقد تعمد كتَّاب العهد القديم السكوت عن أنباء اسماعيل ـ ولو استطاعوا لأنكروا نسبة العرب الى ابراهيم ـ عندما وقر في أذهان طائفة من العبريين أنهم وحدهم ذرية ابراهيم المختارة ، أو أنهم شعب الله المختار • وهذا ما دعاهم الى حصر النسب بهم وحدهم واستثناء غيرهم من هذه النسبة ـ واذا علم السبب بطل العجب ـ وكانت دعواهم هذه طارئة لم يسمع بها الا بعد موت موسى بمئات السنين !

الفصل الرابع

« المصادر المسيحية »

أما المصادر المسيحية المتفق عليها بين الكنائس هي الاناجيل الاربعة وما يلحق بها من أقوال الرسل والحواريين وهي المعروفة بالعهد الجديد .

وهذه الكتب لم تزد شيئاً على سيرة الخليل كما جاءت في سفر التكوين وبعض كتب العهد القديم .

الفصل الخامس

« المصادر الاسلامية »

المبحث الاول

القرآن الكريم

وردت أخبار الخليل ابراهيم (عليه السلام) في سور كثيرة من القرآن الكريم بعضها يميل الى الاسهاب وبعضها يميل الى الايجاز .. ونذكر بعض الآيات التي تخص ما نحن بصدده وهي التي ذكر فيها اسماعيل قبل اسحاق عليهما السلام .

قال تعالى في سورة البقرة : « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » آية ١٣٦ .

وقال تعالى في السورة نفسها : « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الهاً واحداً ونحن له مسلمون » آية ١٣٣ .

وقال تعالى في نفس السورة أيضاً : « أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أءنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون » آية ١٤٠ .

وقال تعالى في سورة آل عمران : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » آية ٨٤ .

وقال تعالى في سورة النساء : « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود ربوراً » آية ١٦٣ .

وقال تعالى في سورة ابراهيم : « الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء » .

لقد ذكر الله جل وعلا في الآيات المتقدمة (اسماعيل عليه السلام) بعد اسم والده (ابراهيم عليه السلام) مباشرة . ثم يأتي بعده ذكر (اسحاق عليه السلام) وقد جاءت هذه الآيات كلها على هذا الترتيب (ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط) ... وهل هذا الترتيب وهذا التقديم يدل على شيء غير الترتيب في الولادة ؟ والترتيب في السن ؟ ولربما الرتبة في المقام والله أعلم . ولم يرد في القرآن الكريم تقديم اسحاق على اسماعيل . فتعين من هذا أن اسماعيل هو الولد الاكبر . وهو البكر وهو الوحيد لابراهيم عليه السلام عند وقوع حادثة الذبح والفداء .

ثانيا « بناء البيت »

وقال تعالى في الآية الـ ١٢٥ من سورة البقرة : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

وقال تعالى في الآية ١٢٧ من نفس السورة : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » .

وهاتان الآيتان الكريمتان تدلان بوضوح وصراحة على أن ابراهيم واسماعيل هما اللذان بنيا البيت الحرام عندما أقامه ابراهيم (عليه السلام) وكان ابراهيم اذ ذاك يتمتع بكامل قوته ولم يكن شيخاً أو عاجزاً . ومعنى هذا : أن اسماعيل هو الذي ساعد أباه في بناء الكعبة يوم كان الاب قوياً ... واسحاق ولد بعد أن أصبح ابراهيم شيخاً كبيراً ... ومن هنا يتبين لنا بأن الولد الاكبر والوحيد والذبيح هو اسماعيل عليه السلام ؟!

ثالثة ـ « البشارة باسحاق عليه السلام »

يؤيد هذا ما قصه القرآن الكريم عن ولادة اسحاق في سورة هود من الآية ٦٩ الى الآية ٧٣ . قال تعالى : « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب * قالت يا ويلتى ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً ان هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد * » .

وقال تعالى في سورة والذاريات :

« هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين * اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون * فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه اليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم * قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم » ٢٤ـ٣٠ .

وقال تعالى في سورة الحجر :

« ونبئهم عن ضيف ابراهيم * اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنَّا منكم وجلون * قالوا لا توَجل انا نبشرك بغلام عليم * » •

وجاء في الآية الـ ٣٩ من سورة ابراهيم حكاية عن لسان ابراهيم عليه السلام : « الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء » •

ففي هذه السور الاربع : هود ، والحجر ، والذاريات ، وابراهيم ، القول الصريح بأن اسحاق ولد عندما بلغ كل من ابراهيم وسارة الكبر فتعين بهذا بأن اسحاق ولد بعد اسماعيل وقد وصف بالعلم •• وان اسماعيل هو الولد البكر لابراهيم وأنه هو الذي ساعد أباه في بناء البيت يوم كان قوياً وقبل الشيخوخة •

رابعاً ـ « قصة الرؤيا والفداء »

قال تعالى في سورة الصافات : « وان من شيعته لابراهيم * اذ جاء ربه بقلب سليم * اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون * أئفكاً الهةً دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين * فنظر نظرةً في النجوم * فقال اني سقيم * فتولوا عنه مدبرين * فراغ الى الهتهم فقال ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضرباً باليمين * فأقبلوا اليه يزفون * قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون * قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم * فأرادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين * وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين * ربي هب لي من الصالحين * وبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بُنيَّ اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين * فلما أسلما

وتلَّه للجبين * وناديناه أَن يا ابراهيم قـد صدقت الرؤيـا إنَّا كذلـك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنـا عليه في الآخرين * سلام على ابراهيم * كذلك نجزي المحسن * انه من عبادنا المؤمنين » من الآية ٨٣ الى الآية ١١١ • ثم يعقب بعـد انهاء قصـة الذبح والفداء في الآيتين ١١٢ و ١١٣ بقولـه تعـالى : « وبشرناه باسحاق نبيـاً من الصالحين * وباركنا عليـه وعلى اسحاق ومـن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين * » •

وهل بعد هذا البيان ، وهذا الوضوح ، وهذه الصراحة ، من حجة لمشتبه أو متحير أو متردد أو لقائل أن يقول أن الذبيح « اسحاق » ؟ •• أو يضطرب في قولـه فتـارة يقـول اسحاق وأخـرى (اسماعيل) ! •• اللهم لا •

فالقرآن الكريم هو القول الفصل ، وهو الحجة الدامغة ، والدلالة القاطعة ، والبرهان الساطع ، والنور اللامع ، الذي يكشف لنـا بوضوح من أن الذبيح هو (اسماعيل) صراحة ودلالة وليس اسحاق ؟ ••• ذلك لأن الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر قصة الرؤيا ، والذبح ، والفداء والثناء على ابراهيم عليه السلام لامتثاله أمر ربّه ، عقّب بقوله تعالى : « وبشرناه باسحاق نبيـاً من الصالحين * وباركنا عليـه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين * » •

فالبشارة الثانية باسحاق هي غير البشارة الاولى لأنها جاءت معطوفة على البشارة الاولى بالغلام الحليم •• والظاهر التغاير فتعين كون الذبيح اسماعيل عليه السلام • وليس اسحاق الذي وصف في سورتي الحجـر والذاريات بالغلام العليم ؟!

خامسا « وصف اسحاق بالعليم »

وليس من شك بأن فيما تقدم البرهان الساطق الذي يؤيد ويقول بأن الذبيح هو اسماعيل (ع) لأن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة الرؤيا والفداء في سورة الصافات قال : عن لسان ابراهيم (ع) : « وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين * ربّ هب لي من الصالحين * وبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام انسي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين * » الى آخر الآيات الخاصة بقصة الفداء ... أما اسحاق (ع) فقد وصف بالعليم ، في سورتي الحجرات والذاريات . قال تعالى في سورة الحجرات : « قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم * » .

وقال تعالى في سورة والذاريات : « وبشروه بغلام عليم * » .

ثم ذكرت هذه البشارة في سورة هود بالاسم الصريح حيث قال تعالى : « وامرأته قائمة فضحكت فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب * » .

وكذلك في سورة الصافات ــ الذي تقدم ذكرها ــ فبعد أن قص الله جلّ وعلا قصة الفداء قال : « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين * » .

فالبشارات التي وردت في القرآن الكريم لابراهيم (ع) على لسان الرسل الذين أرسلوا الى قوم لوط كانت مرتين « بغلام عليم » ومرتين بتسمية « باسحاق » .

وهل بعد هذا الوصف والتسمية العلنية حيث وصف بالغلام العليم وذكر اسمه صراحة بأنه اسحاق ، يذهب البعض الى أن الذبيح هو اسحاق ؟ ... في حين أن ما ذكر في ابتداء قصة الفداء « وبشرناه بغلام

حليم » • وهذا الغلام الحليم هو الذي أُمر بذبحه بعد أن بلغ معه السعي ثم فداه الله عز شأنه بذبح عظيم ••• وبعد أن انتهت قصة الفداء بقوله تعالى : « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » •• فتعين بهذا بأن الذبيح غير اسحاق ، وفي هذا القول الفصل ، والسند القاطع ، وليس لمتأول بعده من نصيب ؟!

سادساً « وصف اسماعيل بالصبر »

ودليل آخر بأن الله تبارك وتعالى وصف اسماعيل بالحلم ، وبالصبر ، وصدق الوعد ، دون اسحاق •

قال تعالى في سورة الانبياء :

« واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » •

وقال تعالى في سورة مريم :

« واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً » •

وقال تعالى في سورة الصافات ــ عن لسان اسماعيل :

« يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين » •

وما أكثر الادلة والقرائن التي تؤيد القائلين بأن الذبيح هو اسماعيل دون غيره •• منها بأن اسماعيل وصف بالحلم ، ووصف بالصبر ، ووصف بصدق الوعد ، ولم يوصف اسحاق بشيء منها ؟!

المبحث الثاني

« مصادر الحديث »

وأهم المصادر الاسلامية بعد القرآن الكريم أحاديث النبي (عليه الصلاة والسلام) وقد ورد في حديث الاسراء « ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به » .

وفي رواية أخرى « ورأيت ابراهيم عليه السلام فاذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم » .

وقال ابن عباس في قصة هاجر :

« ثم جاء بها ابراهيم وبأبنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة زمزم . في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء . فوضعهما هنالك . ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء . ثم قفى ابراهيم منطلقاً فتبعته أم اسماعيل فقالت :ـ يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء ؟ . فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت اليها . فقالت الله أمرك بهذا ؟ .. قال نعم . قالت اذن لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . سورة ابراهيم

وجعلت ام اسماعيل ترضع ابنها وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى . فانطلقت

كراهية ان تنظر اليه . فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها . فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احداً . فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي . ثم اتت المروه فقامت عليها فنظرت هل ترى احداً فلم تر احداً . ففعلت ذلك سبع مرات ...

قال ابن عباس : قال النبي (صلى الله عليه وسلم) فلذلك سعى الناس بينهما ... فلما اشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه . تريد نفسها . ثم تسمعت ايضاً فقالت : قد اسمعت ان كان عندك غواث . فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ، او قال بجناحه ، حتى ظهر الماء . فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا . وجعلت تغرف في الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف ....

قال ابن عباس : قال النبي (صلى الله عليه وسلم) يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم ، وقال لو لم تغرف في الماء لكانت زمزم عليا معيناً .. قال فشربت وارضعت ولدها . فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان هذا بيت الله يبني هذا الغلام وابوه . وان الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مرتفعاً من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله ... الى آخر هذه القصة وهي تشير الى ان الذي كان في مكة هو اسماعيل وان ابراهيم عليه السلام كان في مكة عندما أمره الله تعالى بذبح ابنه وان الذي كان عنده هو ابنه اسماعيل وليس اسحاق .

وقد روى الحاكم في المستدرك وابن جرير في تفسيره والأموي في مغازيه والحليمي في فوائده ان رسول الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم قال : « أنا ابن الذبيحين » . والمقصود بالذبيحين : أباه عبدالله بن عبدالمطلب ، واسماعيل بن ابراهيم ، لانه صلى الله عليه وسلم من أولاد

اسماعيل وليس من أولاد اسحاق كما هو معروف • ويؤيد أن المقصـود « بالذبيحين » هما عبدالله ، واسماعيل ، كما ذكرنا ، أن الحاكم روى في المستدرك ، وابن جرير والاموي عن طريق اسماعيل ابن ابي كريمه عن عمر بن ابي محمد الخطابي عن عبدالله بن سعيد انه قال : حضرنا مجلس معاوية فتذاكر القوم اسماعيل واسحاق ايهما الذبيح ، فقال بعض القـوم انه اسماعيل ، وقال بعضهم بل اسحاق • فقال معاوية على الخبير سقطتم ، كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابي فقـال : يا رسـول الله خلفت الكلأ يابساً والماء عابساً ، هلك العيال ، وضاع المال ، فعد عليَّ مما أفاه الله تعالى عليك يا ابن الذبيحين • فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه • فقال القوم : من الذبيحين يا أمير المؤمنين فقال ، لما أمرّ عبدالمطلب بحفر زمزم نذر لله تعالى ان سهّل أمرها انه ينحر بعض ولده ، فلما فرغ من الحفر أسـهم بين أولاده وكانوا عشـرة ، فخـرج السـهم على ابنه عبدالله « ابي النبي محمد صلى الله عليه وسلم » فـأراد عبدالمطلب ان ينحره فمنعه أخواله بنو مخزوم وقالوا أرضِ ربك وافـدِ ابنك ، ففداه بمائة ناقة •• قال : معاوية ، هذا أحد الذبيحين • أما الآخر فهو اسماعيل بن ابراهيم •

المبحث الثالث

« أقوال المفسرين »

« تفسير الكشاف »

للزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨هـ

يقول المفسر في تفسيره لسورة الصافات :

عن تفسير الآية :ـ « وفديناه بذبح عظيم » .. عن ابن عباس (رضي الله عنهما) هو الكبش الذي قربه هابيل وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسماعيل .. ثم يستطرد المفسر بعد هذا اليقين قائلاً :ـ فان قلت من كان الذبيح من ولديه ـ أي ابراهيم ـ قلت قد اختلفت فيه ؟

فعن ابن عباس ، وابن عمر ، ومحمد بن كعب القرظي ، وجماعة من التابعين انه اسماعيل .. والحجة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم) . قال : « انا ابن الذبيحين » . وعن محمد بن كعب القرظي قال :ـ كان مجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اِلٰه ابراهيم واسماعيل واسرائيل .. فقال موسى (عليه السلام) يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابراهيم واسماعيل واسرائيل ، وانا بين اظهرهم ، فقد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك ؟ . قال : يا موسى ، لم يحبني أحد حب ابراهيم قط . ولا خُيِّر بيني وبين شيء الا اختارني ، واما اسماعيل فانه جاد بدم نفسه . واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط .. ثم يقول المفسر ، ويدل عليه ـ أي على ان الذبيح اسماعيل ـ ان الله تعالى لما اتم قصة الذبيح قال :ـ « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » .. وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبدالعزيز هو اسماعيل ، فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه ، واني لأراه كما

قلت ، ثم ارسل الى يهودي قد أسلم فسأله • فقال : ان اليهود لتعلم انه اسماعيل ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب •• ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسماعيل الى ان احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير •• وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو ابن العلاء عن الذبيح ؟ فقال يا اصمعي ، اين غرب عقلك ؟ ومتى كان اسحاق بمكة ؟ وانما كان اسماعل بمكة • وهو الذي بنى البيت مع ابيه ، والمنحر ـ الذي ينحر فيه اليوم ـ بمكة ـ ومما يدل عليه ان الله تعالى وصفه بالصبر دون اسحاق في قوله « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » ـ وهو صبره على الذبح • ووصفه بصدق الوعد في قوله :ـ « انه كان صادق الوعد » لانه وعد اباه بالصبر من نفسه على الذبح فوفى به •• ولأن الله بشره باسحاق وولده يعقوب في قوله :ـ « فضحكت فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » فلو كان الذبيح اسحاق لكان خُلفاً للموعد في يعقوب ؟! • اه •

★ ★ ★

« تعقيب على تفسير الكشاف »

لقد احسن المفسر واجاد في ايراد هذه الاستشهادات الواقعية والعقلية والنقلية والتاريخية التي تؤيد كلها كون الذبيح اسماعيل ••• وهي حديث الكبش عن ابن عباس وقول ابن عباس ، والقرظي ، وجماعة من التابعين بانه اسماعيل ••• وحديث « انا ابن الذبيحين » وسؤال موسى (ع) عن المجتهد الذي يدعوا بالدعاء حيث كان قول الله تعالى لموسى اما اسماعيل فانه جاد بدمه •• وقوله : لما اتم الله قصة الذبيح قال :ـ « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » •• وايراد قصة محمد بن كعب ، وعمر بن عبدالعزيز واليهودي والأستشهاد ببقاء قرني الكبش في ايدي بني اسماعيل ، ووجود المنحر بمكة ، وسؤال الاصمعي لابي عمر بن العلاء ، ووصف اسماعيل بالصبر ، ووصفه بصدق الوعد ، والبشارة باسحاق وولده يعقوب ، فلو كان الذبيح اسحاق لكان خلفاً للموعد في يعقوب ! ••

ولكن أرأيت ايها القاريء الكريم كيف ان المفسر بعد ان اورد كل هذه الدلائل القاطعة ، بل وتكاد تكون الناطقة بتعين الذبيح اسماعيل ••• جرى في تقليد من سبقه من المفسرين ، وكأنه نسي ما اثبته آنفاً من ان الذبيح اسماعيل •• واذا به يقول مع القائلين :ـ وعن علي وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمه وجماعة من التابعين انه اسحاق ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف :ـ « من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله » •• وهذا الكتاب اخرجه الترمذي في النوادر عن وهب بن منبه والذي قال عنه الدارقطني انه موضوع ؟!!•••

وهل لهذا الكتاب المختلق والمكذوب والموضوع من قبل ابن منبه اليهودي كما يقول الدارقطني ان يقابل او يصمد أمام تلك الادلة الناصعة والبراهين القاطعة من آيات قرآنية ، واحاديث نبوية ، وحوادث تاريخية ،

وروايات صحيحة ؟؟؟ .. اللهم لا ، بل والف لا . ولـكن بعض المفسرين ـ رحمهم الله ـ نهجوا نهج من سبقهم في هذا الباب ولم يشاؤا ان يضربوا صفحاً عن التنويه بكتاب يعقوب المزعوم لـكي لا يوصموا بالجهـل ، او التحيز ـ او عدم الاطلاع ... والا فكيف بمن أورد ما يربو على الاربعة عشر دليلاً ، كلها دلائل قاطعة سيما الآيات التي ذكرت قصة الذبيح ـ ومن بعدها جاء بالبشارة باسحاق هذه الآيات البينة تكاد تنطق وتقول بأن الذبيح اسماعيل ـ يعود فيأتي بخبر ضعيف ، مصنوع ، مكذوب ، وموضوع ثم يضع هذا الخبر « الذي تبدو آثار الصنعة جلية عليه » مقـــابل تلك الأسانيد الصحيحة التي لا يتطرق اليها الشك . وان بعض الادلة ـ ولا أقول كلها ـ كافٍ لدحض اى رواية او خبر او قول يأتي بعدها ، سيما اذا كانت تلك الرواية او ذاك الخبر صادراً عن رجل متهم يضع الكثير مما يرويه ويتحدث به .. وهل هذا الذي جاء به المفسر مؤخراً الا من عوامل التقليد ؟؟؟! ..

« تفسير ابن كثير »

للحافظ المتوفى سنة ٧٧٤هـ

يقول المفسر في تفسير قوله تعالى « فبشرناه بغلام حليم » وهذا الغلام هو اسماعيل عليه السلام فانه اول ولد بُشر به ابراهيم عليه السلام ، وهو اكبر من اسحاق باتفاق المسلمين واهل الكتاب .. بل في نص كتابهم ان اسماعيل عليه السلام ولد ولابراهيم ست وثمانون سنة ، وولد اسحاق وعمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة .. وعندهم ان الله تبارك وتعالى أمر ابراهيم ان يذبح ابنه وحيده ، وفي نسخةٍ أخرى بكره ، فاقحموا ههنا كذباً وبهتاناً اسحاق . ولا يجوز هذا لانه مخالف لنص كتابهم . واقحموا اسحاق لانه ابوهم ، واسماعيل ابو العرب ، فحسدوهم فزادوا ذلك ، وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره !. فان اسماعيل كان ذهب به وبأمه الى مكة ؟! . وهو تأويل وتحريف باطل ، فانه لا يقال وحيدك الا لمن ليس له غيره .. وايضاً فان لاول ولد لـه المعزّة ما ليس لمن بعده من الاولاد . فالامـــر بذبحـــه ابلغ بالابتلاء والاختبار !...

وقد ذهب جماعة من أهل العلم الى ان الذبيح هو اسحاق ! . وليس ذلك في كتاب ولا سنّة . وما اظن ذلك تُلقى الا عن أخبار أهل الكتاب ، وأُخذ ذلك مسلّماً من غير حجة ؟! ..

وهذا كتاب الله شاهد ومرشد الى انه اسماعيل . فانه ذكر البشارة بغلام حليم ، وذكر انه الذبيح ، ثم قال بعد ذلك « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » ... ولما بشرت الملائكة ابراهيم باسحاق قالوا :ـ « انا نبشرك بغلام عليم » . وقال تعالى :ـ « فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » .. اي يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب ، فيكون من ذريته

عقب ونسل ، وقد قدمنا هناك انه لا يجوز بعد هذا ان يؤمر بذبحه وهـو صغير لان الله تعالى وعدهما بانه سيعقب ويكون له نسل .. فكيف يمكن بعد هذا ان يؤمر بذبحه صغيرا ؟ .

واسماعيل وصف ههنا بالحليم لانه مناسب لهذا المقام !.

ثم يقول ابن كثير :

وقال ابن جرير : حدثني يونس اخبرنا ابن وهب اخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس انه قال :ـ المفدى اسماعيل عليه السلام . وزعمت اليهود انه اسحاق وكذبت اليهود ..

قال ابن اسحاق :ـ وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول ان الذي أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسماعيل . وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى ، وذلك ان الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم . قال الله تعالى : « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » . ويقول الله تعالى « فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » . يقول بأبن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح اسحاق وله فيه من الموعد ما وعده . وما الذي أمر بذبحه الا اسماعيل .. قال ابن اسحاق سمعته يقول ذلك كثيراً » ..

وقال ابن اسحاق عن بريره بن سفيان الاسلمي عن محمد بن كعب القرظي انه حدثهم انه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز (رض) وهو خليفة ــ اذ كان معه بالشام ــ فقال له عمر ان هذا لشيء ما كنتُ انظر فيه اني لاراه كما قلت .. ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم وحسن اسلامه ، وكان يرى انه من علمائهم ، فسأله عمر بن عبدالعـزيز عن ذلك ؟ قال محمد بن كعب : وانا عند عمر بن عبدالعزيز ، فقال لـه عمر : أيُّ ابني ابراهيم أُمر بذبحه ؟ .. فقال : اسماعيل والله يا أمير

المؤمنين . وان اليهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحاق لان اسحاق ابوهم ، والله اعلم ايهما كان ، وكل قد كان طيباً طاهراً مطيعاً لله ...

وقال عبدالله بن الامام أحمد بن حنبل « رحمه الله » سألت ابي عن الذبيح ؟ . فقال اسماعيل وذكره في كتاب الزهد ..

وقال ابن ابي حاتم وسمعت ابي يقول الصحيح ان الذبيح اسماعيل عليه الصلاة والسلام ..

قال وروي عن علي وابن عمر وابي هريرة وابن الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وابي جعفر محمد بن علي وابي صالح رضي الله عنهم انهم قالوا الذبيح اسماعيل وقال البغوي في تفسيره واليه ذهب عبدالله بن عمرو وسعيد ابن المسيب والسري والحسن البصري ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس ، وحكاه ايضاً عن ابن عمرو بن العلاء ... اهـ .

وذكر ابن كثير في كتابه « قصص الانبياء » قوله « فبشره الله بغلام حليم ، وهو اسماعيل عليه السلام ، لأنه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنه أول ولده وبكره .

ثم يمشي في سرد القصة الى ان يقول ، وهذا وحده دليل على ان الذبيح هو اسماعيل ، لأنه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده « وبشرناه باسحاق

نبياً من الصالحين ، ومن جعله حالاً فقد تكلف ومستنده انه اسحاق انما هو اسرائيليات ، وكتابهم فيه تحريف ، فان عندهم ان الله أمر ابراهيم ان يذبح ابنه وحيده ، وفي نسخة معربة بكره اسحاق ، فلفظة اسحاق ها هنا مقتحمة ، مكذوبة ، مفتراة ـ لانه ليس هو الوحيد ولد البكر انما ذاك اسماعيل ؟!

« تعقيب على تفسير ابن كثير »

ونستطيع القول بأن الحافظ ابن كثير لم يندفع وراء الاسرائيليات كما فعل غيره من المفسرين .. وأنه مشى متثبتاً ومدققاً شأنه بذلك شأن المفسر المحقق المدقق الواثق من نفسه الحاذق اللبيب .

فابن كثير نهج نهج المحققين المدققين ، واعطى رأيه الصريح القاطع بأن الذبيح هو اسماعيل « عليه الصلاة والسلام » . وهذا القول هو القول الصحيح المقطوع به ، ذلك لان جميع الآثار والدلائل التي تؤيد او تسند هذا القول مستقاة كلها من الكتاب والسنة والاخبار الصحيحة عن الصحابة الكرام وبعض التابعين « رضوان الله تعالى عليهم اجمعين » .. أما الأخبار أو الخبر الذي يقوله بانه اسحاق ليس له أصل او سند من كتاب او سنة ، .. بل ان من نقل وهب بن منبه الذي لفقه بنفسه وتلقاه عنه بعض احبار أهل الكتاب .. ثم نقله عنهم بعض علماء المسلمين من غير تمحيص او تدقيق ..

واين هذا من ذاك ؟! ...

★ ★ ★

« تفسير البحر المحيط »

لأبي حيان المتوفى سنة ٧٤٥هـ

قال : « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » •• الظاهر ان هذه بشارة غير تلك البشارة ، وان الغلام الحليم المبشر به ابراهيم هو «اسماعيل» وانه هو الذبيح لا اسحاق •• وهو قول ابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية ابن أبي سفيان ، ومحمد بن كعب القرظي ، والشعبي ، والحسن ، ومجاهد ، وجماعة من التابعين •• واستدلوا أيضاً بظاهر الآيات ، وبقوله عليه السلام « انا ابن الذبيحين » • وقول الاعرابي له « ايا ابن الذبيحين »•• وفيما اوحى الله لموسى في حديث طويل : واما اسماعيل فانه جاد بدم نفسه •• وسأل عمر بن عبدالعزيز يهودياً أسلم عن ذلك ؟ • فقال : ان يهود لتعلم « بأن الذبيح اسماعيل » ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ••

وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة •• وسأل الاصمعي ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح ؟ فقال له يا أصمعي اين عزب عقلك ؟ • ومتى كان اسحاق بمكة ، وهو الذي بني البيت مع ابيه والمنحر بمكة ؟! •

ووصفه تعالى بالصبر ، وبصدق الوعد ، وذكر الطبراني عن ابن عباس :ــ

« كان الذبيح اسماعيل » •• وزعم اليهود انه اسحاق ، وكذب اليهود ؟! •• اهـ •

* * *

« التعقيب »

هكذا يجب على الانسان اذا اعتقد شيئاً ان يجزم به ولا يتردد !••• ويقول الحق ولا يتلجلج ؟!!!

« تفسير البيضاوي »

المتوفى سنة ٧٩١هـ

قال :ـ والا ظهر ان المخاطب اسماعيل «ع» لانه الذي وهبه لـه اثر الهجرة ـ ولان البشارة باسحاق بعد معطوفه على البشارة بهذا الغلام ٠ ولقوله عليه الصلاة والسلام « انا ابن الذبيين » فأحدهما جده اسماعيل ، والآخر أبوه عبدالله ٠٠ ولأن ذاك كان بمكة ٠ وكانا قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ، ولم يكن اسحاق ثَمّة ٠ ولان البشارة باسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب ، فلا يناسبها الأمـر بذبحه مراهقا ٠٠٠

أما ما روي انه عليه الصلاة والسلام سئل اي النسب اشرف فقال :ـ « يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق بن ابراهيم خليل الله » ٠٠ فالصحيح انه قال « يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » ٠ والزوائد من الراوي ٠٠ وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت !

* * *

« التعقيب »

إن المفسر وان بدأ الجملة بقوله « والا ظهر » الا انه لم يخالجـه شك بان الذبيح اسماعيل بالنظر للدلائل التي ذكرها ٠ ثم قال عن الروايات الاسرائيلية بانها زائدة ولم تثبت ٠٠

« التفسير الكبير »

للامام الفخر الرازي

قال :ـ اختلفوا في ان هذا الذبيح من هو ؟ فقيل انه اسحاق • وهذا قول عمر وعلي والزهري والسري ومقاتل (رض) ••• وقيل انه اسماعيل ، وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي ••• واحتج القائلون بانه اسماعيل بوجوه :ـ

الاول :ـ ان رسول الله صلى « صلى الله عليه وسلم » قال :ـ « انا ابن الذبيحين » • وقال له اعرابي « يا ابن الذبيحين » فتبسم •• فسئل عن ذلك فقال :ـ ان عبدالمطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل له أمرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبدالله فَمَنَعَهُ أخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل ، والذبيح الثاني اسماعيل ؟! ••

الحجة الثانية :ـ نقل عن الاصمعي انه قال :ـ سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح ؟ فقال يا أصمعي ابن غرب عقلك ؟ ومتي كان اسحاق بمكة ؟ وانما كان اسماعيل بمكة •• وهو الذي بنى البيت مع أبيه •• والمنحر بمكة ؟!

الحجة الثالثة :ـ ان الله سبحانه وتعالى وصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق في قوله « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » • وهو صبره على الذبح •• ووصفه بصدق الوعد في قوله : « انه كان صادق الوعد » لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح موفى به !

الحجة الرابعة : قوله تعالى : « فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » فنقول لو كان الذبيح اسحاق لكان الامر بذبحه أما أن يقع قبل

ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك .. فالاول باطل لأنه تعالى لما بشرها باسحاق وبشرها معه بأنه يحصل منه يعقوب .. فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الامر بذبحه ، والا حصل الخلف في قوله : « ومن وراء اسحاق يعقوب » والثاني باطل لأن قوله : « فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك » يدل على أن ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل الى حد القدرة على الفعل أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه . وذلك ينافي وقوع هذه القصة في زمان آخر . فثبت أنه لا يجوز أن يكون الذبيح هو اسحاق .

الحجة الخامسة : حكى الله تعالى عنه أنه قال : « رب هب لي من الصالحين » .. وهذا السؤال يحسن قبل أن يحصل له الولد ، لأنه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد ، لأن طلب الحاصل محال .. ثم يقول المفسر : فثبت أن المطلوب بهذا الدعاء هو اسماعيل ، ثم أن الله تعالى ذكر عقيبه قصة الذبح ، فوجب أن يكون الذبيح هو اسماعيل .

الحجة السادسة : الاخبار الكثيرة في تعليق قرن الكبش بمكة ، فكان الذبح بمكة ، ولو كان الذبيح اسحاق لكان الذبح بالشام ؟!

ثم يذكر المفسر الرازي حجة من قال بأن الذبيح اسحاق هو الكتاب الذي يدّعونه والذي كتبه يعقوب الى يوسف وهذا الكتاب ثابت بطلانه ، واختلاقه !

ثم يُختم بقوله : واعلم أنه يتفرع على ما ذكرنا اختلافهم في موضوع الذبح .. فالذين قالوا الذبيح هو اسماعيل ، قالوا كان الذبح بمنى .. والذين قالوا انه اسحاق قالوا هو بالشام ، وقيل بيت المقدس ، والله أعلم ؟!

« التعقيب »

ان المفسر الرازي بعد أن أورد الادلة القاطعة في الحجج الست التي ذكرها « والتي أثبتناها في أعلاه » والتي كلها تؤيد بأن الذبيح هو اسماعيل ، يعود فيتراجع ويسير بركاب المفسرين الذين اشتبه عليهم الامر فيختم الموضوع بقوله : « والله أعلم » ولم يقطع بالامر ؟! .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

* * *

« تفسير الجلالين »

وفي تفسير الجلالين المؤلف سنة ٨٧٠ هجرية

يقول التفسير عن قوله تعالى : « وفديناه بذبح عظيم » وهو المأمور بذبحه ، وهو اسماعيل أو اسحاق قولان ... ثم يقول : « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » استدل بذلك على أن الذبيح غيره ، أي غير اسحاق !

* * *

« تفسير الخازن »

– الذي فرغ صاحبه من تأليفه سنة ٧٢٥ هجرية –

يقول في تفسير الآيات التي تتعلق بقصة الذبيح : ان الامر على قولين : قال قوم أنه اسحاق والقول الثاني أنه اسماعيل ! .. ثم يختم بسؤال الاصمعي لأبي عمرو بن العلاء عن الذبيح ، فقال له : يا أصمعي أين ذهب عقلك ؟ ومتى كان اسحاق بمكة ؟ وانما كان اسماعيل بمكة ، وهو الذي بنى البيت مع أبيه ، والمنحر بمكة ! والله أعلم !

ثم بعد هذا يشير الى قصة الذبح ويذكر بأن الذبيح هو اسماعيل ويسرد قصة ابليس مع ابراهيم (عليه السلام) عندما اعترضه ورجمه بالحصيات ، ومنها سنة الرجم ؟!

* * *

وبهامش تفسير الخازن : « تفسير البغوي » المتوفى سنة ٥١٦هـ

* * *

من العجيب أن التفسيرين متطابقان أو متشابهان تقريباً ، ولم يزد أحدهما على ما جاء في شرح الثاني ؟!

* * *

« تفسير النسفي »

يقول النسفي في تفسير سورة الصافات بعد قوله تعالى : « وفديناه بذبح عظيم * ان هذا لهو البلاء المبين » .. الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم ، أو المحنة البينة : « وفديناه بذبح » هو ما يذبح .. وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فُدي به اسماعيل . « عظيم » ضخم الجثة سمين . وهي السنة في الاضاحي . ثم يستطرد المفسر ــ بعد أن ذكر أولا أن الكبش فُدي به اسماعيل ــ فيقول : والاظهر أن الذبيح اسماعيل .. وهو قول أبي بكر وابن عباس وان عمر وجماعة من التابعين (رضي الله عنهم) لقوله عليه السلام : « أنا ابن الذبيحين » .. فأحدهما جده « اسماعيل » والآخر « أبوه عبدالله » وذلك أن عبدالمطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده تقرباً .. وكان عبدالله آخراً ، ففداه بمائة من الابل .. ولأن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني اسماعيل الى أن احترقت مع البيت في زمن الحجاج وابن الزبير .. وعن الاصمعي أنه قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح ، فقال : يا أصمعي أين غرب عقلك ؟ ومتى كان اسحاق بمكة ؟ وانما كان اسماعيل بمكة ، وهو الذي بنىَ البيت مع أبيه ، والمنحر بمكة !

وبعد أن يسرد المفسر كل هذه التفاصيل والاستشهادات التي تؤيد بأن الذبيح اسماعيل تستولي عليه آفة التقليد ــ كما استولت على غيره ــ فينسى نفسه ، أو ينسى ما قاله آنفاً ، فيقول : وعن علي وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين (رضي الله عنهم) انه اسحاق .. ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف والذي اختلقه وهب بن منبه : « من يعقوب اسماعيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله » ؟!

ثم يمر المفسر بالآيتين الكريمتين « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين * » .. مرّ الكرام ، ويكتفي بأن يقول : أي أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا ... وما ذلك إلا لتحاشي تعيين الذبيح صراحة بعد أن ذكر القرآن الكريم ولادة اسحاق بعد سرد حادثة الفداء ؟! .. اهـ .

* * *

« تعقيب على تفسير النسفي »

أرأيت أيها القارىء الكريم ؟ كيف أن المفسرين ، أي معظم المفسرين (عليهم الرحمة) لم يستطيعوا التخلص من عدوى التقليد ، وقد سار بعضهم في أثر الآخر وان كان سلفه على خطأ ، وما ذلك ـ على ما أعتقد ـ الا خوفاً من أن يقال بأن المفسر الفلاني قليل الاطلاع ، أو أنه شذّ عن أسلافه ، أو أنه خرج عما كان عليه بعض المفسرين الذين سبقوه ؟!

ثم أرأيت ما هي الحجة التي استند عليها المؤلف أو المفسر وجعلها دليلا للقائلين بأن الذبيح اسحاق ؟ فالحجة أو الدليل ـ والذي هو كل الدليل ـ كتاب يعقوب الى يوسف ؟!

فمن أين جاء المفسر بهذا الكتاب ؟ وكيف تثبت صحته لديه ؟ وما هو دليله على أن الكتاب كان من يعوقب الى يوسف بهذه النعوت ؟ والى أي مرجع استند في الركون الى هذا الدليل ، وهل هذا الا من وضع اليهود المتأخرين ؟ وعلى فرض صحة الكتاب ، فهل يصعب على اليهود وضع كلمة « ذبيح الله » بعد اسم اسحاق ليلبسوا الامر على العرب

المسلمين الذين هم ولد اسماعيل ليحوزوا بذلك شرف الفداء لأبيهم اسحاق ؟!

والذي روى هذا الخبر - أي خبر الكتاب - هو وهب بن منبّه الذي كان يظن به أنه يضع كثيراً مما يرويه ، وقد قال الدارقطني عن الكتاب انه موضوع •

فاذا علمنا كل هذا ظهر لنا بطلان ما فعله اليهود في هذا الموضوع من اختلاق الاخبار والروايات ليلبسوا على المسلمين أمر الذبيح ؟

وكان الأولى بالمفسر أن يأخذ بآيات القرآن الكريم الصريحة التي تجعل من أوصاف اسماعيل الذي وصف بالصبر وصدق الوعد وبالحليم هو الذبيح وليس باسحاق ؟ •• أو يأخذ بحديث « أنا ابن الذبيحين » الذي رواه الشبلي والحاكم من رواية الضابحي عن معاوية بن أبي سفيان ، والذي يعين الذبيح بأنه اسماعيل وليس غيره ، ولا يلتفت الى كتاب موضوع أو خبر ملفق أتى به رجل من اليهود متهم وقد اشتهر عنه بأنه كان يضع الروايات والاخبار لصالح اليهود •• ومن هنا نعلم بأن أغلب المفسرين نهجوا نهجاً واحداً في تفاسيرهم من حيث ايراد الروايات والاخبار والشروح •• وتكاد تكون بعض التفاسير متقاربة متشابهة لولا قليل من الاختلاف في البيان والتعبير !!

★ ★ ★

« تفسير الكلبي »

قال محمد بن أحمد الكلبي في تفسيره : « كتاب التسهيل لعلوم التنزيل » . « فبشرناه بغلام حليم » .. أي عاقل .. واختلف الناس في هذا الغلام المبشر به في هذا الموضوع وهو الذبيح ، هل هو اسماعيل أو اسحاق ؟

فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو اسماعيل .. وحجتهم من ثلاثة أوجه :

الاول :ـ أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : « أنا ابن الذبيحين » .. يعني اسماعيل عليه السلام ووالده عبدالله حين نذر والده عبدالمطلب أن ينحره ان يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الابل .

والثاني :ـ ان الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبح : « وبشرناه باسحاق » فدل ذلك على أن الذبيح غيره .

والثالث :ـ أنه روي أن ابراهيم جرت له قصة الذبح بمكة ، وانما كان معه بمكة اسماعيل . ثم قال : وذهب آخرون الى أن الذبيح اسحاق . وحجتهم من وجهين :

الاول :ـ أن البشارة المعروفة لابراهيم بالوادي انما كانت باسحاق لقوله : « فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » .

الثاني :ـ أنه روي أن يعقوب كان يكتب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله ! اهـ .

★ ★ ★

« التعقيب على قول المفسر الكلبي »

يظهر مما رواه ، أو أورده المفسر أنه لم يحد عن نهج الاولين •• لأنه بعد أن أيَّد كون الذبيح هو اسماعيل •• يقول وذهب آخرون الى أنه اسحاق ••• يقول هـذا بالرغم من أن حجج القائلين بأن الذبيح اسماعيل أقوى ، وأدل ، وأصدق ، وأنها مؤيدة بالقرآن الكريم والحديث وأن حجة الآخرين ليس لها سند من كتاب أو سنة ، حيث أن البشارة باسحاق معطوفة على البشارة الاولى باسماعيل ، وأنها ـ أي البشارة الثانية ـ جاءت بعد قصة الفداء •• وأن ما روي عن أن يعقوب كان يكتب يكذا وكذا •• فهذه رواية يهودية اسرائيلية مكذوبة وملفقة ظاهر أثر الوضع والتلفيق عليها أكثر من أي شيء آخر ؟!

* * *

« تفسير فتح القدير »

وقال الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هجرية في تفسيره : « فتح القدير » :

وقد اختلف أهل العلم في الذبيح هل هو اسحاق أو إسماعيل ؟ فقال بعضهم اسحاق . وقال آخرون اسماعيل ، الى أن يقول : وعن الاصمعي قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال : يا أصمعي أين غرب عنك عقلك ؟ ومتى كان اسحاق بمكة ؟ ثم يقول قال ابن كثير في تفسيره : « وقد ذهب جماعة من أهل العلم الى أن البيح هو اسحاق وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى يقال عن بعض الصحابة وليس في ذلك كتاب ولا سنَّة ، وما أظن ذلك تلقّي الا عن أخبار أهل الكتاب ، وأخذ مسلماً من غير حجة ، وكتاب الله شاهد ومرشد الى أنه اسماعيل ، فانه ذكر البشارة بالغلام الحليم وذكر أنه الذبيح ، وقال بعد ذلك « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » أهـ .. « انتهى قول ابن كثير وهو الحق » .

ثم يقول ـ أي الشوكاني ـ قال الزجاج : الله أعلم أيهما الذبيح ؟ وما استدل به الفريقان يمكن الجواب عنه والمناقشة له .

ثم يقول : ومن جملة ما احتج به من قال انه اسماعيل بأن الله وصفه بالصبر دون اسحاق ، كما في قوله : « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » وهو صبره على الذبح .. ولأن الله سبحانه وتعالى وصفه في صدق الوعد في قوله : « انه كان صادق الوعد » لأنه وعد أباه في نفسه الصبر على الذبح فوفى به .. ولأن الله سبحانه وتعالى قال : « وبشرناه باسحاق نبياً » فكيف يأمره بذبحه وقد وعده بأن يكون نبياً ، وأيضاً فان الله قال : « فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » فكيف يؤمر بذبح اسحاق قبل انجاز الوعد في يعقوب ؟!

ثم يقول : وقد ورد في الاخبار تعليق قرني الكبش في الكعبة فدل على أن الذبيح اسماعيل ، ولو كان اسحاق لكان الذبح واقعاً بيت المقدس.

ثم بعد أن يسرد كل هذه الحجج الدامغة يقول : وكل هذا أيضاً يحتمل المناقشة ؟! .. أهـ .

★ ★ ★

« تعقيب على الجملة الاخيرة من قول المفسر »

بعد أن أورد المفسر كل هذه البراهين التي تؤيد كون الذبيح اسماعيل المؤيدة بالقرآن الكريم والحديث والنصوص التاريخية والشواهد والاخبار والآثار والقرائن يعود فيقول : « وكل هذا يحتمل المناقشة » فيستدل من هذا بأن آفة التقليد التي دفعت الى هذا القول ، والا فما الذي يمنعهم من أن يأتوا بالقول القاطع مثل ابن كثير وأمثاله فيقولون بأنه اسماعيل ، وليس لغيرهم سند من كتاب أو سنة .. ولكنهم مع كل الاسف يسيرون وراء من تقدمهم بالتشكيك والتردد ؟!

« تفسير روح المعاني »

ـ للآلوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هجرية ـ

سرد المفسر شرح الآيات الكريمة من قوله تعالى : « فبشرناه بغلام حليم » الى قوله تعالى : « وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين » .. من حيث اللغة ووقوع القصة من غير أن يُعيِّـن من هـو هـذا الغلام الذي أُمر ابراهيم (ع) بذبحه .. ثم يقول : وفي الآيات بعد أبحاث (الاول) أنهم اختلفوا في الذبيح ، فقال على ما ذكره الجلال السيوطي في رسالته : « القول الفصيح في تعيين الذبيح » علي وابن عمر وأبو هريرة وأبو الطفيل وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي ويوسف بن مهران والحسن البصري ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب وأبو جعفر الباقر وأبو صالح والربيع بن أنس والكلبي وأبو عمرو بـن العلاء وأحمـد بن حنبـل وغيرهم ـ وكذلك ابن كثير في تفسيره ـ انـه اسماعيل عليه السلام لا اسحاق عليه السلام ، وهو احدى الروايتين عـن ابن عباس .. ورجحه جماعة خصوصاً غالب المحدثين وقال أبو حاتم وهو الصحيح ، وفي الهدى أنـه الصواب عنـد علمـاء الصحابة والتابعين ممن بعدهم . وسئل أبو سعيد الضرير عن ذلك فأنشد :

ان الذبيـح هديت اسماعيل   نص الكتاب بذاك والتنزيل

شرف بـه خصّ الاله نبينـا   وأتى بـه التفسير والتأويل

ان كنت أمتـه فلا تنكر لـه   شـرفاً قـد خصـه التفضيل

وفي دعواه النص نظر ، وهو المشهور عند العرب قبل البعثة أيضاً . كما يشعر به أبيات نقلهـا الثعالبي في تفسيره عن أميـة بن أبي الصلت ، واستدل لـه بأنـه الذي وهب لابراهيم عليـه السلام أثر الهجرة ، وبأن

البشارة باسحاق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ، والظاهر التغاير ، فتعين كونه اسماعيل •• وبأنه ـ أي اسحاق ـ بُشِّر بأن يوجد ونبياً ، فلا يجوز ابتلاء ابراهيم عليه السلام بذبحه لأنه علم أن شرط وقوعه منتف ! •• والجواب بأن الاول بشارة بالوجود وهذا بشارة بالنبوة ولكن بعد الذبح قال صاحب الكشف ضعيف •• لأن نظم الآية لا يدل على أن البشارة بنبوته ، بل على أن البشارة بأمر مقيد بالنبوة ، فأما أن يقدر بوجود اسحاق بعد الذبح ولا دلالة في اللفظ عليه ، وأما أن يقدر لوجود مطلقاً وهو المطلوب •• فان قلت يكفي بالدلالة تقدم البشارة بالوجود أولا ، قلت ذاك عليك لا لك •• ومن يسلم أن المتقدم بشارة باسحاق حتى يستتب لك المرام وبأن البشارة وقعت مقرونة بولادة يعقوب منه على ما هو الظاهر في قوله تعالى في هود « وبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » • ومن بشر بالولد وولد الولد كيف يتصور بذبح الولد مراهقاً قبل ولادة ولده ؟ •• ومنع كونه اذ ذاك مراهقاً لجواز أن يكون بالغاً كما ذهب اليه اليهود وقد ولد له يعقوب وغيره مكابرة لا يلتفت اليها ، وبأنه تعالى وصف اسماعيل بالصبر في قوله سبحانه : « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » • وبأنه عز وجل وصفه بصدق الوعد في قوله تعالى : « انه كان صادق الوعد » • ولم يصف اسحاق بشيء منهما ، فهو الأنسب دونه بأن يكون القائل : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين » • المصدق قوله بفعله ••• وبأن ما وقع كان بمكة ، واسماعيل هو الذي كان فيها • وبأن قرني الكبش كانا معلقين في الكعبة حتى احترقا معها أيام حصار الحجاج لابن الزبير (رض) وكانا قد توارثهما قريش خلفاً عن سلف ، والظاهر أن ذلك لم يكن منهم الا للفخر ، ولا يتم لهم اذا كان الكبش فدي لاسحاق دون أبيهم اسماعيل ! وبأنه روى الحاكم في المستدرك ، وابن جرير في تفسيره ، والاموي في مغازيه ، والخلعي في فوائده ، من طريق اسماعيل بن أبي كريمة عن

عمر بن أبي محمد الخطابي عن العتبي عن أبيه عن عبدالله بن سعيد الضابحي قال : حضرنا مجلس معويه فذاكر القوم اسماعيل واسحاق أيهما الذبيح ؟ فقال بعض القوم إسماعيل ، وقال بعضهم بل اسحاق ، فقال معاوية على الخبير سقطتم ... كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأتاه أعرابي فقال : يا رسول الله ، خلّفت الكلأ يابساً والماء عابساً هلك العيال وضاع المال فعد عليّ مما أفاء الله تعالى عليك يا ابن الذبيحين . فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم ينكر عليه .. فقال القوم : من الذبيحان يا أمير المؤمنين ؟ .. قال : عبدالمطلب لما أُمر بحفر زمزم نذر لله تعالى ان سهل أمرها أن ينحر بعض بنيه ، فلما فرغ أسهم بينهم وكانوا عشرة فخرج السهم على عبدالله ، فأراد أن ينحره فمنعه أخواله بنو مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك . ففداه بمائة ناقة . قل معاوية : هذا واحد ، والآخر اسماعيل .

وبأنه ذكر في التوراة أن الله تعالى امتحن ابراهيم فقال له يا ابراهيم ، قال له لبيك . قال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه وامضي الى بلد العبادة وأصعده ثم قدمه قرباناً على أحد الجبال الذي أعرفك به . فان معنى وحيدك الذي ليس لك غيره . ولا يصدق ذلك على اسحاق حين الامر بالذبح لأن اسماعيل كان موجوداً اذ ذاك . لأنه ولد لابراهيم على ما في التوراة وهو ابن ست وثمانون سنة . وولد اسحاق على ما فيها أيضاً وهو ابن مائة سنة ! .. وأيضاً قوله تعالى الذي تحبه أليق باسماعيل ، لأن أول ولد له من المحبة في الاغلب ما ليس لمن بعده من الاولاد !

ويعلم مما ذكر أن ما في التوراة الموجودة بأيدي اليهود اليوم من ذكر هو اسحاق ــ بعد الذي تحبه ــ من زياداتهم وأباطيلهم التي أدرجوها في كلام الله تعالى اذ لا يكاد يلتئم مع ما قبله ؟ .. وأجاب بعض اليهود عن

ذلك بأن اطلاق الوحيد على اسحاق لأن اسماعيل كان اذ ذاك بمكة .
وهو تحريف وتأويل باطل ، لأنه لا يقال الوحيد وصفاً للابن الا اذا كان
واحداً في البنوة ولم يكن له شريك فيها .. وقال لي بعض منهم أن
اطلاق ذلك عليه لأنه كان واحداً لأمه ولم يكن لها ابن غيره ، فقلت يبعد
ذلك كل التبعيد اضافة الى ضمير ابراهيم عليه السلام .

ويؤيد ما قلنا ما قاله ابن اسحاق : ذكر محمد بن كعب أن عمر بن
عبدالعزيز الى رجل كان يهودياً فأسلم ، وحسن اسلامه وكان من
علمائهم ، فسأله أي ابني ابراهيم أمر بذبحه ؟ .. فقال : اسماعيل والله
يا أمير المؤمنين وأن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب !
وذكر ابن كثير أن في بعض نسخ التوراة بكرك بدل وحيدك وهو
أظهر في المطلوب .

ثم يقول المفسر : وقيل هو اسحاق ويورد أقوال القائلين بهذا
القول ، ثم يفندها بأن الروايات والاحاديث التي أوردوها فهي منكرة
وضعيفة وبعض الرواة متروكين ، وأن التأويلات المتكلفة لا تأتلف
مع المقصود !

ثم يقول المفسر :ـ والتوقف عندي خير من هذا القول ... والذي
اميل انا اليه انه اسماعيل عليه السلام بناء على ان ظاهر الآية يقتضيه ، وانه
المروي عن كثير من أئمة أهل البيت . ولم اتيقن صحة حديث مرفوع
يقتضي خلاف ذلك ، وحال أهل الكتاب لا يخفى على ذوي الالباب . ..أهـ

« تعقيب على تفسير الآلوسي »

إن الالوسي رحمه الله لم يعط الرأي القاطع • ولكنه قال بما يشبه القطع ، بانه يميل الى ان الذبيح هو اسماعيل بناء على ما يقتضيه ظاهر الآية وبالنظر لانه المروي عن كثير من أئمة أهل البيت ! •

ولو انه قال أُرجّح او اعتقد بدلاً من اميل ــ الى ان الذبيح هو اسماعيل ، لكان أقوى •• ذلك بالنظر لما أورده المفسرون من حجج لا تقبل الشك •• بالاضافة الى ان المفسر لم يتيقن صحة حديث مرفوع يقتضي خلاف ذلك ! •• ثم يختم الحديث بهذه العبارة البليغة ــ التى كان حريا بكافة المفسرين ان يدركوا مضمونها ــ وحال أهل الكتاب لا يخفى على ذوي الالباب •• وهذا الحال الذي لم يخف على أحد كان المطلوب من كل مسلم ان يقف مليا عند كل خبر يتلقاه عنهم حتى يثبت لديه او يُنفى ؟! ••

« الجامع لأحكام القرآن »

تفســير القرطبي

لم يقطع المفسر برأي • بل انه اتى بأقوال الطرفين الذين احدهما يقول بان الذبيح اسحاق • وثانيهما بانه اسماعيل ••• ثم يختم بيانه بقول الزجاج :ــ « الله اعلم ايهما الذبيح » ؟!!!

ولا تعقيب ؟!••

★ ★ ★

« تفسير المراغي »

« فبشرناه بغلام حليم » أي فبشرناه بمولود ذكر يبلغ الحلم ويكون حليماً ، وقد استفيد بلوغه من وصفه بالحلم • لانه لازم لتلك السن • اذ قلما يوجد في الصبيان سعة الصدر وحسن الصبر والاغضاء عن كل أمر •• وهذا الغلام هو اسماعيل عليه السلام •• فانه اول ولد بُشر بـه ابراهيم عليه السلام • وهـو اكبر من اسـحاق باتفاق العلماء من أهـل الـكتاب والمسلمين •• بل جاء النص بالتوراة على ان اسماعيل ولد لابراهيم وسنه ٨٦ سنة ، وولد لـه اسحاق وعمره «٩٩» سنة ! •

واي حلم مثل حلمه عرض عليه ابوه وهو مراهق ان يذبحه فقال :ــ « ستجدني ان شاء الله من الصابرين » • فما ظنك به بعد بلوغه ؟ •• وما نَعَتَ الله نبياً بالحلم غيره ، وانــه اسماعيل عليه السلام •• ثم يقول :ــ اي « سأصبر على القضاء واحتمل هذه اللأواء غير ضجر ولابرم بما قضى وقَدَّر •• وقد صدق فيما وعد ، وبر بالطاعة لتنفيذ ما طلب منه •• ومن ثم قال سبحانه في شأنه مادحاً لــه :

« واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد » •• اهـ •

★ ★ ★

« تعقيب »

اعطى المفسر رأيه الصريح القاطع المستند على الآيات الواضحة والدلائل القوية بأن الذبيح اسماعيل ولم يشر الى اى شيء يفيد بان الذبيح اسحاق ، كغيره من المفسرين الذين اشتبه على بعضهم الامر فمنهم من يقول بانه اسحاق ومنهم من يقول بانه اسماعيل ؟! ..

* * *

« تنوير المقباس »

« من تفسير ابن عباس »

ـ لابي طاهر الفيروزبادي ـ

قال :ـ « فلما بلغ معه السعي » . العمل لله بالطاعة ، ويقال المشي معه الى الجبل .. (قال) ابراهيم لابنه اسماعيل .. ويقال اسحق ؟! . « يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك » .. ثم يمضي في تفسير بقية الآيات دون ان يذكر من هو الذبيح ؟! .. اهـ

* * *

وبهامش تنوير المقباس : « تفسير ابن عباس »

لم يزد فيما ورد تفسير ابن عباس عن تنوير المقباس . حتى وكانها نقل احدهما عن الثاني ؟! ..

* * *

« التعقيب »

وهكذا فان معظم المفسرين يسيرون على نهج من سبقهم او بتعبير آخر تحتوشهم آفة التقليد ، فلم يختلف بعضهم عن البعض الآخر الا القليل ؟! ..

« جامع البيان في تفسير القرآن »
« للطبري »

انه يذكر أقوال الذين قالوا بان الذبيح اسحاق ... ثم يأتي بعد أقوال الذين يقولون بأن الذبيح اسماعيل ... ولم يجزم بشيء ؟! .. اهـ ولا تعقيب ؟!

* * *

« تفسير روح البيان »
« للشيخ اسماعيل حقي افندي »

قال : « فلما اسلما » عن قتادة في أسلما .. استسلم ابراهيم ابنه واسماعيل نفسه ، « وتله للجبين » صرعه على شقه فوقع جنبه على الارض لمباشرة الأمر بصبر وجلد . وكان ذلك عند الصخرة من منى ، او في المنحر الذي يُنحر فيه اليوم .. وروي أن ابليس عرض لابراهيم عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب . ثم عرض له عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب . ثم مضى ابراهيم لأمر الله تعالى وعزم على الذبح . ومنه شرع رمي الجمرات في الحج ، فهو من واجبات الحج ، تركه يوجب الفدية باتفاق الائمة ..

ثم يقول :ـ قال في التأويلات النجمية : ومن دقة النظر في رعاية آداب العبودية في حفظ حق الربوبية في القصة :ـ ان اسماعيل طلب من أبيه ان يشد يده ورجليه لئلا يضطرب اذا مسه الم الذبح فيعاتب .. ثم لما همّ بذبحه قال افتح القيد عني فاني اخشى ان اعاتب فيقال لي أمشدود اليد حبيبي يطيعني ..

ثم يقول في تفسير قوله تعالى :ـ « وفديناه بذبح عظيم » عظيم الجثة سمين ، او عظيم القدر ، لانه يفدي به الله نبياً ابن نبي ، واي نبي ؟ من نسله سيد المرسلين ؟! ..

وفي التأويلات النجمية : أنه سمى الذبيح عظيماً لأنه فداء نبيين عظيمين احدهما اعظم من الآخر وهما اسماعيل ومحمد عليهما السلام ، لانه كان محمد «ص» في صلب ابراهيم » انتهى .

ثم يقول في الأخير ان صورة الذبح جرى في الظاهر الى حقيقة اسماعيل اولاً ثم سرى ثانياً الى حقيقة اسحاق لتحققه أيضاً بمقام الارث الابراهيمي من التسليم والتفويض والانقياد الذي ظهر في صورة الكبش ...

ولهذا السر اشتركا في البشارة الالهية « وبشرناه بغلام حليم » وبشرناه باسحاق فكان اسماعيل واسحاق مختلفين في الصورة والتشخص متفقين في المعنى والحقيقة .. فأن شئت قلت ان الذبيح هو اسماعيل . وان شئت قلت انه اسحاق فانت مصيب في كل من القولين اهـ ؟؟؟! ...

★ ★ ★

« تعقيب »

ولعمري لم يسبقه احد من المفسرين بمثل هذا الرأي الذي انفرد به وهو « فأن شئت قلت اسماعيل ، وان شئت انه اسحاق فانت مصيب في كل من القولين » !

وهكذا نجد بان الجرأة الكافية لم تكن موجودة لدى بعض المفسرين ؟!.. والا لقالها صريحة غير هياب ولا متشكك ولا متردد ؟! . خاصة بعد ان أورد القصة التي فحواها ما جرى لاسماعيل عند الذبح ؟!!!

★ ★ ★

« المصحف الميسر »

للاستاذ الشيخ عبدالجليل عيسى

شيخ كليتي اصو لالدين واللغة العربية بالازهر الشريف (سابقا)

قال « بغلام حليم » هو اسماعيل عليه السلام •• ثم يسير في سرد وتفسير قصة الذبح حتى تنتهي بقوله تعالى « سلام على ابراهيم * كذلك نجزي المحسنين * انه من عبادنا المؤمنين » دون ان يشير الى شيىء آخر عدا اسماعيل (عليه السلام) اهـ •

★ ★ ★

« المصحف المفسر »

ـ محمد فريد وجدي ـ

يسرد المفسر معاني قصة او آيات الذبح دون ان يذكر من هو الذي أمر الله خليله ابراهيم (عليه السلام) بذبحه • حيث يقول :ـ فلما بلغ ابنه السن التي يسعى فيها معه في اعماله • قال له يا بني « اني ارى في المنام اني اذبحك » قرباناً لله « فانظر ماذا ترى » قال « يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين » ••

حتى يأتي الى نهايتها ؟!

★ ★ ★

« أوضح التفاسير »

ـ محمد محمد عبداللطيف بن الخطيب ـ

قال :ـ « فلما بلغ معه السعي » اي لما بلغ الولد ان يمشي ويسعى مع أبيه في اشغاله وحوائجه •• الى آخر الآيات الكريمة بشأن قصة الذبيح دون ان يتطرق الى اسم المقصود بالذبح ؟!•••

★ ★ ★

التعليــق :

ان صاحب المصحف المفسر ، وصاحب أوضح التفاسير نهجا نهجاً واحداً بحيث فسرا معاني الكلمات ولم يشيرا الى اسم المراد ذبحه بالآيات الكريمة ..

ـ وذلك على ما اعتقد ـ تخلصاً من الشك الذي ساورهما في ايهما الذبيح ؟!..

★ ★ ★

« في ظلال القرآن »

« لسيد قطب »

يسرد المفسر الآيات التي تتضمن قصة الفداء والتي تبدأ بقوله تعالى : « فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى * الى قوله تعالى ... « وفديناه بذبح عظيم * ان هذا لهو البلاء المبين * » ...

ثم يقول :ـ

كان الابتلاء قد تم ، والامتحان قد وقع ، ونتائجه قد ظهرت ، وغاياته قد تحققت ...

ثم يقول :ـ وقد حققوا التكليف ، وقد جازوا الامتحان بنجاح .
وعرف الله من ابراهيم واسماعيل صدقهما ، فاعتبرهما قد أديا وحققا وصدقا .

ثم يقول : ومضت بذلك سنة النحر في الاضحى ، ذكرى لهذا الحادث العظيم الذي يرتفع مناره لحقيقة الايمان . وجمال الطاعة ،

وعظمة التسليم ، والذي ترجع اليه الامة المسلمة لتعرف فيه حقيقة ابيها ابراهيم الذي تتبع ملته ، والذي ترث نسبه وعقيدته ...

حيث يقول بعد هذا :ـ

ثم يتجلى عليه ربه بفضله مرة أخرى ونعمته فيهب له اسحاق في شيخوخته ويباركه ويبارك اسحاق ويجعل اسحاق نبياً من الصالحين :ـ « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى اسحاق » اهـ .

* * *

« تعقيب على المفسر »

ان سيد قطب « رحمه الله » ذكر قصة الفداء وذكر بأن الله سبحانه وتعالى عرف من ابراهيم واسماعيل صدقهما فاعتبرهما قد أَدَّيا .. ثم ذكر سنة النحر في الأضحى التي اخذت بها الامة الاسلامية التي اتبعت ملة أبيها ابراهيم عليه السلام ..

وهكذا فانه لم يتطرق الى قضية الأختلاف او الشك الذي اورده بعض المفسرين ، وسَرَدَ القصة سرد المحقق الواثق من نفسه والمتيقن من ان قصة فداء اسماعيل واضحة وصريحة لا تقبل الجدل كما ورد في نص القرآن الكريم بأن اسماعيل هو الذي فُدي بذبح عظيم ... وان الله جلّ وعلا رزق ابراهيم في شيخوخته باسحاق وجعله نبياً من الصالحين، بعد ان أورد قصة الفداء ؟!...

* * *

تفسير آية من القرآن الكريم

من مقال للاستاذ مفيد عبدالله « يسألونك عن الذبيح »

نشر في العدد الخامس من مجلة التربية الاسلامية (السنة السادسة عشرة) ذو الحجة ١٣٩٣هـ الموافق كانون الاول ١٩٧٣م • جاء فيه :ــ

من المفسرين من يقول بأن قوله تعالى : وباركنـــا عليه « أي على الذبيح » وعلى اسحاق ومجمل الحكاية يوحي بذلك ، لأن الحكاية عن ذرية ابراهيم (عليه السلام) ولذلك جاءت الآية « ومن ذريتهما » أي من ذرية اسماعيل واسحاق ، والله اعلم • اهـ

★ ★ ★

« تفسير صفوة البيان لمعاني القرآن »

للاستاذ الشيخ حسنين محمد خلوف

قال تعالى « فبشرناه بغلام حليم » هو ــ على الراجح ــ اســـماعيل عليه السلام ، وهو الذي كان معه بمكة في القصة التالية دون اسحاق • بدليل قوله تعالى بعد القصة « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » وقيل اسحاق واليه ذهب أهل الكتابين ••

★ ★ ★

تعقيب

بعد ان يذكر المفسر بانه ــ على الراجح اسماعيل ــ ويشهد على ذلك بما ورد بعد القصة قوله تعالى « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » يعود فيقول :ــ

وقيل هو اسحاق ، واليه ذهب أهل الكتابين ؟!•• وكان على المفسر ان يجزم بانه اسماعيل ولا يأبه بما ذهب اليه أهل الكتابين !

★ ★ ★

المبحث الرابع

قول الامام ابن قيم الجوزية

جاء في كتاب زاد المعـاد لابن قيم الجوزية ما يلي :

« بحث في ان الذبيح اسماعيل لا اسحاق »

واسماعيل هو الذبيح على قول الصواب عند علمـــاء الصحـــابة والتابعين ومن بعدهم ، واما القول بانه اسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول :ــ هــذا القول انما هو متلقى من أهل الكتاب مع انه باطل بنص كتابهم . فـأن فيه ان الله أمر ابراهيم ان يذبح ابنه بكره ، وفي لفظ وحيده ، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين ان اسماعيل هو بكر أولاده . والذي غر أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم اذبح ابنك اسحاق .

قال :ــ وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله اذبح بكرك وحيدك .. ولكن اليهود حسدت بني اسماعيل على هذا الشرف ، واحبوا ان يكون لهم ، وان يسوقوه اليهم ، ويختاروه دون العرب ، ويأبى الله الا ان يجعل فضله لاهله ..

وكيف يسوغ ان يقال ان الذبيح اسحاق والله تعالى بشر ام اسحاق به وبأبنه يعقوب ، فقال تعالى عن الملائكة انهم قالوا لابراهيم لما أتوه بالبشرى « لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » فمحال ان يبشرها بانه يكون له ولد ثم يأمر بذبحه ، ولا ريب ان يعقوب داخل في البشارة . فتناول البشارة له اسحاق ويعقوب في اللفظ واحد ، وهذا ظاهر الكلام وسياقه . ثم يقول :ــ

ويدل عليه ايضا ان الله سبحانه لما ذكر قصة ابراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات ، قال : « فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين • ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم • وتركنا عليه في الاخرين • سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين » ثم قال تعالى :ـ « وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين » فهذه بشارة من الله تعالى له شكراً على صبره على ما أُمر به • وهذا ظاهر جداً في ان المبشر به غير الاول بل هو كالنص فيه • ثم يقول :ـ

وايضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ، ولذلك جعلت القرابين ليوم النحر بها • كما جعل السعي بين الصفا والمروة • ورمي الحجار تذكرا لشأن اسماعيل وامه • واقامة لذكر الله • ومعلوم ان اسماعيل وامه همـا اللذان كانا بمكة دون اسحاق وامه • وقد اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه ابراهيم واسماعيل • النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد ابراهيم وابنه اسماعيل • زمانا ومكانا • ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة •

وايضاً فان الله سبحانه وتعالى سمى الذبيح حليماً ، لأنه لا احلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه •• ولما ذكر اسحاق سماه عليماً ، فقال تعالى : « وهل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) الى ان قال : قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) وهذا اسحاق بلا ريب لانه من امرأته ، وهي المبشرة به ، واما اسماعيل فمن السرّية ، وايضا فانهما بشرا به على الكبر واليأس من الولد ، وهذا بخلاف اسماعيل فانه ولد قبل ذلك •

وايضا فان الله سبحانه اجرى العادة البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده • وابراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته • والله قد اتخذه خليلا ، والخلّة منصب بعضها توحيد المحبوب بالمحبة ، وان لا يشارك بينه وبين غيره فيها ، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلّة تنتزعها من قلب الخليل تأمره بذبح المحبوب ، فلما اقدم على ذبحه وكانت محبة الله اعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة • فلم يبق في الذبح مصلحة • اذ كانت المصلحة انما هي في العزم • ومعلوم ان هذا الامتحان والاختبار انما حصل عند اول مولود ، ولم يكن ليحصل في المولود الاخر دون الاول ، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضي الامر بذبحه ، وهذا في غاية الظهور •

وايضا فان سارة امرأة الخليل صلى الله عليه وسلم غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة • فانها كانت جارية • فلما ولد اسماعيل واحبه أبوه اشتدت غيرة سارة • فأمر الله سبحانه ان يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها في أرض مكة ، ليبرد عن سارة حرارة الغيرة • وهذا من رحمته ورأفته ، فكيف يأمره سبحانه بعد هذا ان يذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله ؟ هذا مع رحمة الله لها وابعاد الضرر عنهما ، وجبرة لها • فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية ؟ • وبل حكمته البالغة اقتضت ان يأمر بذبح ولد السرية • فحينئذ يرق قلب الست على ولدها • وتتبدل قسوة الغيرة رحمة • ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها • وأن الله لا يضيع بيتاً هذه وابنها منهم • ويرى عباده جبره بعد الكسر ولطفه بعد الشدة • وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم الى الذبح آلت الى ما آلت اليه مما جعل آثارهما ومواطن أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم القيامة • وهذه سنته تعالى فيمن يريد

رفعه من خلقه أن يمن عليه بعد استضعافه وذله وانكساره . قال تعالى : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أمة ونجعلهم الوارثين » ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .. أه .

* * *

التعـليق

هذا ابن القيم وشيخه ابن تيمية ـ غفر الله لهما ـ يجزمان جزماً قاطعاً لا ريب فيه لمستريب بأن الذبيح اسماعيل وليس اسحاق .. وهذا هو المطلوب من جميع المفسرين والباحثين أن يكون رائدهم التحقيق والتدقيق والتمحيص ثم يخلصوا الى الرأي القاطع دونما تردد أو شك .

* * *

المبحث الخامس

قول الامام السيوطي

جاء في كتاب الحاوي للفتاوى للامام السيوطي ، في الصفحة ٣١٨ تحت عنوان : القول الفصيح في تعيين الذبيح .

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد :

فقد وردت الي فتوى في السيد اسحاق والسيد اسماعيل من الذبيح منهما ؟ والخلاف الوارد فيهما ، ما الاصح والراجح منه ؟
فأجبت :

الخلاف في الذبيح معروف مشهور بين الصحابة فمن دونهم ، لكل من القولين حجج .

أما القول بأنه اسماعيل فهو قول علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي ويوسف بن مهران والحسن البصري ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب وأبي جعفر الباقر وأبي صالح والربيع بن أنس والكلبي وابن عمرو بن العلاء وأحمد بن حنبل وغيرهم . وهو احدى الروايتين عن ابن عباس ورجحه جماعة خصوصاً غالب المحدثين .

وقال أبو حاتم : الصحيح أنه اسماعيل ، وقال البيضاوي انه الاظهر وفي الهدى انه الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ممن بعدهم .. قال : وأما القول بأنه اسحاق فمردود بأكثر من عشرين وجهاً ... الخ .. أهـ .

الخاتمــــة

لقد ثبت بعد التتبع والاستقراء أن كافة المصادر تكاد تصرح بأن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام • فالمصادر الاسرائيلية من كتب العهد القديم التي ذكرت قصة الفداء كررت عبارة « ابنك وحيدك » ثلاث مرات • ووصف الابن بالوحيد ينطبق على اسماعيل وحده ، حيث لم يكن اسحاق وحيداً بوجود اسماعيل • ثم ذكرت المصادر نفسها أن اسماعيل ولد وعمر ابراهيم (٨٦) سنة ، وأن اسحاق ولد وعمر أبيه ابراهيم (٩٩) سنة ، وهذا يدل على أن اسماعيل هو المقصود بوصف ابن ابراهيم بالوحيد • وجاء في التوراة أن ابراهيم قدم ولده البكر ليذبحه ففداه الرب بالكبش • وجاء في الاصحاح السادس عشر من كتب العهد القديم عند اليهود أن الولد البكر هو اسماعيل • فيتعيَّن أن الذبيح هو اسماعيل • أما المصادر المسيحية فانها لم تزد شيئاً على ما جاء في الاسفار اليهودية بشأن وصف الذبيح وأن الله تعالى أمر نبيه ابراهيم بذبح ابنه الوحيد ، أي اسماعيل • أما مصادر التاريخ القديم فلا تكاد تختلف عما ورد في كتب العهد القديم ، فهي تصرح بذبح الابن الوحيد لابراهيم يوم قام بذبحه ، والابن الوحيد لم يكن غير اسماعيل ، لأن الثابت عند المسلمين وأهل الكتاب أن ولادة اسماعيل كانت قبل ولادة اسحاق •

ومن المفيد أن نذكر هنا أن كتب العهد القديم عند اليهود ذكرت قصة الفداء والذبح وقالت فيها أن الرب قال لابراهيم : « ان فعلت هذا الامر – أي ذبح ابنك ووحيدك – ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء » • وقد ظهر في واقع الحياة أن نسل ابراهيم الذين هم كنجوم السماء كثرة ليسوا هم اليهود الذين يزعمون أنهم من نسل اسحاق حيث انه لا يزيد عددهم في العالم على

(١٥)) مليون وانما هم العرب الذين هم من نسل اسماعيل حيث يربو عددهم في العالم على (١٥٠) مليون نسمة •

وبالرغم من كل ما تقدم فان اليهود الذين برعوا في التحريف والكذب ، كبر عليهم أن يروا العرب يحوزون فضل التضحية والفداء متمثلة بجدهم اسماعيل فأرادوا سرقة هذا الفضل لأنفسهم فنسبوا الذبح الى اسحاق كما صرح بذلك ابن كثير رحمه الله حيث قال : جاء في التوراة أن الله تبارك وتعالى أمر ابراهيم بذبح ابنه وحيده ، وفي نسخة أخرى « بكره » فأقحموا ـ أي اليهود ـ كذباً وبهتاناً اسم اسحاق ••• وانما أقحموا اسم اسحاق لأنه أبوهم •• واسماعيل أبو العرب فحسدوهم ، فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك ، بمعنى الذي ليس عندك غيره ، فان اسماعيل كان ذهب به ابراهيم وبأمه الى مكة ، وهو تأويل وتحريف باطل فانه لا يقال وحيدك الا لمن ليس له غيره ••• الخ •

وليس هذا فحسب ، فاليهود أهملوا ذكر اسماعيل وولده وأمته في كتبهم الدينية والتاريخية ، وأهملوا ذكر رحلة ابراهيم الى الحجاز ، وبناء البيت الحرام التي أثبتها القرآن الكريم ، وأهملوا ذكر عدد كبير من الانبياء ، كما أهملوا ذكر أقوام عظيمة كانت مجاورة لهم ، وسكتوا عن حقائق كثيرة ثابتة في كتب الدين والتاريخ لغاية انطوت عليها أنفسهم الخبيثة • فالذي يفعل كل هذا ويبرع في التحريف ، هل يصعب عليه أن يقول أن الذبيح هو اسحاق لا اسماعيل ويحرف النصوص وينكر الوقائع حتى يجعل قوله صحيحاً ؟ والواقع أن صنيع اليهود هذا غير مستغرب منهم فان القوم قوم بهت عرفوا بالعداوة الشديدة للعرب وللمسلمين وكادوا للاسلام وأهله منذ ظهور الاسلام ولا تزال عداوتهم للاسلام والمسلمين شديدة لم يضعفها تطاول الزمن ومضي الدهور ، ولكن الغريب أن بعض المفسرين المسلمين يأخذون بالاسرائيليات

والروايات الضعيفة والمختلقة فيتابعون اليهود في قولهم أن الذبيح هو اسحاق أو يبقون مترددين في المسألة لا يجزمون بشيء ، وينسون دلالة القرآن الكريم الصريحة على أن الذبيح هو اسماعيل وليس اسحاق •

الا أن جمهور المفسرين المسلمين لم يأخذوا بالاسرائيليات ولم يترددوا في أمر الذبيح ، بل صرحوا بأنه هو اسماعيل مستدلين بآيات القرآن الكريم الصريحة في دلالتها على ذلك ، فالآيات الكريمة التي ذكرت اسماعيل واسحاق قدمت اسماعيل على اسحاق والتزمت بهذا الترتيب في كل آية ذكرتهما فيها • ووصف القرآن اسماعيل بالصبر دون اسحاق ، وهو صبر الذبح حيث قال لأبيه « ستجدني ان شاء الله من الصابرين » • ووصف القرآن أيضاً اسماعيل بصدق الوعد في قوله تعالى : « انه كان صادق الوعد » لأن اسماعيل وعد أباه بالصبر من نفسه على الذبح فوفى به • ثم أن الله تعالى بشر ابراهيم باسحاق وبولده يعقوب في قوله تعالى : « فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » • فكيف يؤمر ابراهيم بذبح اسحاق قبل انجاز الوعد في يعقوب ؟

ثم أن الاحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنها : « أنا ابن الذبيحين » تدل على أن الذبيح هو اسماعيل ، وهذا هو المنقول عن الصحابة والتابعين حيث صرحوا بأن الذبيح هو اسماعيل كما ذكرنا من قبل •

وعلى ذلك فينبغي عند ذكر قصة ذبح ابن ابراهيم عليه السلام أن يقال على وجه الجزم بأن الذبيح هو اسماعيل وأن هذا القول هو الصواب وخلافه خطأ قطعاً حتى لا يبقى مجال للشك والتردد في هذه المسألة ، وحتى لا يتابع اليهود في تحريفهم وكذبهم • والله هو الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم •• والحمد لله رب العالمين •

المراجـــع

١ ـ تفسير الكشاف للزمخشري

٢ ـ تفسير ابن كثير

٣ ـ تفسير البحر المحيط

٤ ـ تفسير البيضاوي

٥ ـ تفسير الرازي

٦ ـ تفسير الجلالين

٧ ـ تفسير الخازن

٨ ـ وبهامشة تفسير البغوي

٩ ـ تفسير النسفي

١٠ـ تفسير الكلبي

١١ـ تفسير فتح القدير

١٢ـ كتاب الحاوي للفتاوي ـ للسيوطي

١٣ـ تفسير روح المعاني للآلوسي

١٤ـ تفسير القرطبي

١٥ـ تفسير المراغي

١٦ـ تفسير تنوير المقياس ـ للفيروزبادي

١٧ـ وبهامشه تفسير ابن عباس

١٨ـ جامع البيان في تفسير القرآن ـ للطبري

١٩ـ روح البيان ـ للشيخ اسماعيل حقي أفندي

٢٠ـ المصحف الميسر

٢١ـ المصحف المفسر

٢٢ـ أوضح التفاسير

٢٣- في ظلال القراءات - للسيد قطب
٢٤- صفوة البيان لمعاني القرآن
٢٥- كتاب قصص الأنبياء لابن كثير
٢٦- كتاب قصص الأنبياء لعبدالوهاب النجار
٢٧- كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية
٢٨- كتاب حياة محمد صلى الله عليه وسلم
٢٩- كتاب أبو الأنبياء - للعقاد

الفهرست

د رسال

تم طبع الكتاب بتاريخ ١٩٨٥/١/٢٢ بعدد ٣٠٠٠ نسخة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٧٣ لسنة ١٩٨٥

من آثار المؤلف غير المطبوعة

١ ـ الاجوبة المسكتة

٢ ـ في دنيا المرأة

٣ ـ لطائف وطرائف

٤ ـ العائلة المسلمة

٥ ـ سوانح وخواطر

٦ ـ القرية الفاضلة ـ أو ـ المعلم منصور

٧ ـ قصة « رمز العفاف »

٨ ـ الثلاثيات وأخواتها

٩ ـ الاحاجي والالغاز

ثمن النسخة ٧٥٠ فلساً